

المكلمة الطبية

ثقافية - اجتماعية - متنوعة www.alkalemeh.com

العدد
59

الدعاء والروحانيات



التمهيد للجائحة



جمهورية الأرامل



35 المرأة ضلع أعوج

40 بناتنا بناتهم

42 مع عقوبة السجن

51 ضد عقوبة السجن

58 أسود وزهري

60 الرياضة في الكبر

63 التهيو للجائحة

71 نحو عظام أمتن

3 من رئيس التحرير

4 كاريكاتير

5 الدعاء والروحانيات ...

11 عواصف هوجاء

14 القرصنة الفكرية

17 تجارة الأدمغة

25 مهمة من أجل نور

28 أدوية الفقراء

31 الفرق في الإحساس ...



الإشراف العام
مصطفى نصر الله

رئيس التحرير

محمد الأديب

كتاب المجلة

ساره الموسوي

فخر الملوّك البغدادي

زينب العسكري

إستبرق الحائري

جمانة علي الوائلي

شرف الدين البغدادي

هاجر العسكري

مؤيد سليم

عبدالعزیز البدری

محمد خليل

طیبة عبد العلي

1427
59

العدد

alkalemeh@alkalemeh.com

القصة

خديجة أحمد

الترجمة

د. علي الحارس

النشر الإلكتروني

محمد الحسيني

الإخراج الفني والإلكتروني

مناف البغدادي

رسوم

محمد نيروزي

المراجعة اللغوية

علي السعدي



الأطفال 76

الشأر 83





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ولأن تلك الإحصائيات قد صدرت من مؤسسات تلتزم بحرفية رقمية وضوابط اصطلاحية فانها لم تتناول في قراءتها المأساوية الترمل (المادي - المعنوي) وهو الأكبر خطرا والأوسع انتشارا في الدول العربية والإسلامية على وجه الخصوص.

فهناك الترميل غريبة أو هجره بسبب الكبت السياسي أو الديني أو الخوف على الحاضر والمستقبل الذي يدفع بأبناء الوطن قسرا للبحث عن غد قد يشرق صباحه بتحقيق طموحاتهم وأمانهم المسلوبة والمضيعة، حيث تقتل الزوجة أحلى سنوات عمرها على مذبح السياسات الحمقاء، ومجتمع الشائعات، وقسوة قوانين المهجرة في أجواء انتظار زوجها وما يمكن أن تملي عليه ذكورته في أي لحظة للتنفيس عن طاقاته التي من النادر أن تنتظر طويلا تحت عنوان الوفاء، دون أن يتخذ زوجة فراش تحت عناوين

وهناك ترميل من نوع آخر لا تجد فيه الزوجة زوجها إلا في بعض أوقات تناول الطعام أو الزيارات الطبية، فمهموم الحياة أو الاستغراق المجحف في حب العمل (ولا عذر للرجل في ذلك) قد يسلب الزوج من زوجته، وخاصة تلك الزوجة التي تجمع المواصفات القياسية للزوجة المسلمة (و) الشرقية، فالشرق عادة ما يحمل المرأة أعباء أخلاقية وزوجية (إضافية)، تكاد لا تعرفها المرأة التي تسكن في الجانب الآخر من الأرض. وكما هو حاصل في الأعباء الإضافية الموجودة في عموم مجتمعاتنا المسلمة والتي تلزم المرأة بضوابط لم يشرعها الإسلام بقدر ما هي من مضروحات النظام السياسي والثقافي والاجتماعي الهابط والمتخلف.

ونوع آخر من الترمل، وهذا النوع على ما أظن قد توحش فيه المبحول الأشداء في محاولة تثبيته كدستور لإدارة الزوجة وتطويعها، فاتحين بذلك مساحات واسعة من المقابر الجماعية على خارطة قلوب فتيات رقيقات، فقط لأنهن نساء، وخاصة إذا كن متدينات، وأكثر خصوصية إذا كن حيبات. فقد أوغل بعض رجال البيت في شتم المرأة وضربها، وإذلال عواطفها ومشاعرها، ومنعها والمنع عنها، وقمعها وتسطيع وجودها وإنسانيتها.

أخيرا .. وأمام ذلك المشهد الإنساني المأزوم .. لا بد أن نتساءل: إحصائيات ووقائع الترمل هذه .. ياترى كم أحزنت من أصحاب الضمائر الحية الذين لا يكتفون بالأسف والكلام الحزين والبكاء؟! وكم أفرحت آخرين وهم يشاهدون هذه الكيلوغرامات الهائلة من اللحم (المترمّل) الرخيص (المذكى منه وغير المذكى) ۞۞۞



حوسبة علاجية

الرجاء والارواحيات

تعريف

تعرف المعالجة بالدعاء والروحانيات بأنها ممارسة الاتصال بالرب أو الكائن المطلق لغرض علاجي، وتتأثر الاستجابة الناتجة بالمعتقدات الروحية للشخص المصلي. قد يعرف البعض هذا الكائن المطلق باسم الربة العظمى، وقد يسميه غيرهم الرب، أو الله، أو التاو، أو العقل الكلي، أو براهما، أو غير ذلك من الأسماء الكثيرة. وتعتمد المعالجة الروحية أو الإيمانية على نظام عقائدي يطبقه المريض أو من يدعو بدلا منه.

البروفسورة ربيكا فري، كين ويلز، ليندا كريسمان

إعداد وترجمة /هاجر العسكري

الأصول

الصلاة التأملية يمكنها

تخفيف حدة القلق،

والاكتئاب الخفيف،

والإدمان، والقرحة،

والألم، والغثيان،

والصداع التوترى،

وصداع الشقيقة،

والعقم، واضطرابات ما

قبل الطمث، والأرق،

وارتفاع ضغط الدم

التي يعرف حدوث المعجزات فيها. كما توجد في الولايات المتحدة الأمريكية جمعيات وحركات ضخمة من ممارسي المعالجة الروحانية بدأت بالظهور منذ أوائل القرن التاسع عشر، مثل حركة إيمانويل وحركة جون ألكسندر دوي.

وفي نهاية القرن التاسع عشر ظهرت حركة العلم المسيحي؛ وهي حركة نشأت عن منظمة أسستها ماري بيكر إدي عام 1876، لتعتنق مبدأ المعالجة الروحانية كأحد مبادئها الأساسية، حيث يؤمن أنصار هذه الحركة بأن الموت والمرض ليسا سوى وهم، وقد زعمت إدي حينها بأن خلاصة المعرفة المستحصلة عن طريق العلم المسيحي تتمثل في القوة على تحقيق الشفاء، مستندة في ذلك على شفاؤها من العديد من الأمراض باستعمال التدليك والدعم الإيجابي والمعالجة النفسية، وقامت عام 1875 بطباعة كتابها (العلم والعلاج) الذي يعتبر النص المؤسس لهذه الحركة.

إن الناس يلجؤون إلى الدعاء دائماً، وخاصة عندما يصابون بالمرض أو يواجهون الموت، وبغض النظر عن الدليل العلمي حول إيجابية هذا النوع من العلاج، فإنه لا يعتبر منهجاً علاجياً ضمن أوساط الأطباء الغربيين الذين يستندون إلى مقولة أبوقراط (الجسم والنفس عنصران منفصلان) والتي تشكل جوهر المنهج الطبي الغربي.

ابتداء من القرن السابع عشر، بدأ الغرب يسير وفق الفلسفة الديكارتية، فركز اهتمامه على الجانب المادي للعالم، وقد ترجم هذا الاتجاه في الميدان الطبي بالتركيز الحصري

ومهما تعددت أشكال هذا النوع من العلاج، فهو من الممارسات الروحية التي نصادفها في كل الثقافات تقريباً. فاستعمال الدعاء لأغراض علاجية عنصر أساسي في الديانات الإسلامية والمسيحية واليهودية، وينسحب الأمر ذاته على الديانات البدائية، ففي الطب الشعبي المكسيكي (الكيورانديريسمو) تعتبر الصحة منحة من الرب. إن

المرض - وفق هذه الوسيلة - يعتبر عقاباً من الله على الذنوب، فلا بد من عونه في تحصيل الشفاء، لذا قد يقوم المرضى بأداء الصلاة أو الحج كجزء من المعالجة الطبية.

إن العلاج بالروحانيات في الغرب مفرق بالقدم ويعود إلى زمان الأحداث التوراتية والإنجيلية حينما كان المسيح وأنبياء بني إسرائيل يعالجون المرضى والمصابين بقوة الدعاء. وقد نشأت تقاليد المعالجة الإيمانية لدى المسيحيين بشكل رسمي عن طقس صلاة المعالجة العائد للقرن الأول الميلاد، ولا تزال الكنائس الطقسية (في مذهب الروم الكاثوليك، والأرثوذكس الشرقيين، والبروتستانت) تمارس طقوس العلاج الروحاني من خلال القربان المقدس والمسح بالزيت في الكنائس والأضرحة والأماكن



هذه المفاهيم قد تساعد على صمود الروح المقاومة، وهو عامل ثبتت أهميته العلاجية. إن الدعاء يمكنه تحسين نوعية الحياة ويؤدي إلى إحساس بالسلام والرضى عند الوفاء. بالإضافة إلى أن انخراط المريض في الشريحة المتدينة يؤدي إلى تخلصه من مشكلة العزل الاجتماعي التي يتعرض لها الكثير من المرضى، حيث يشعر من خلال زيارات أصدقائه أو رجال الدين له بأنه لا يزال جزءا من المجتمع المتدين ومن المجتمع الإنساني الأوسع.

الممارسة

يمكن أن يقوم بالمعالجة الروحانية شخص واحد يدعو بنفسه طلبا للشفاء له أو لغيره، أو مجموعة من الأشخاص تدعو من أجل شخص ما. وقد يتخلل هذه المعالجة أداء طقس رئيسي وتقديم قربان، وفي الولايات المتحدة الأمريكية تقوم بعض الكنائس بتنظيم اجتماعات كنسية خاصة للمعالجة، فيحضرها الناس ابتغاء طلب الشفاء لهم أو لغيرهم.

ويشيع نمط آخر من أنماط المعالجة الروحانية هو الصلاة التأملية التي تتضمن تهدئة النفس والتركيز على جسم أو صوت أو حركة أو تخيل أو حتى مجرد التركيز على التنفس الذاتي.

وفي الشرق قد تكون الصلاة التأملية عبارة عن ترديد صوت أو مقطع (المانترا) أو تكون ترديدا لاسم المقدس (الجابا)، ويوجد في الهند شكل آخر للصلاة التأملية هو الرقص في المعابد.

على الجوانب الجسدية للمرض، وتم تجاهل أو إهمال دور الجوانب الأخرى كالعواطف والأفكار والعلاقات الاجتماعية والروحانيات. ولم يتغير هذا الواقع إلا في بداية ستينات القرن الماضي حيث ازداد الاهتمام بأهمية الدعاء والتأمل وغير ذلك من الممارسات الروحية في الصحة والعلاج.

الفوائد

قد يكون الأمران الأكثر فائدة جراء المعالجة الروحانية هما: التكلفة المنخفضة (أو المعدومة)، وعدم استخدام الأدوية أو الأدوات الطبية. ويتفق الأطباء والعلماء ورجال الدين على أن النفس البشرية تمتلك كما كبيرا من القدرات الكامنة، بما فيها القدرة على معالجة الاضطرابات الجسدية والنفسية. ويؤكد الكثير من الباحثين على أن إيمان الشخص يسيطر بقوة على إحساسه بالصحة والقدرة على مقاومة المرض والرغبة بالشفاء.

ويعتقد بأن الدعاء وغيره من الوسائل الروحانية ذات تأثير مثير على الأشخاص الذين يعانون بشكل خاص من اضطرابات ناجمة عن الإجهاد المفرط؛ إذ يشير الدكتور هيربرت بنسون إلى أن الصلاة التأملية يمكنها تخفيف حدة القلق، والاكتئاب الخفيف، والإدمان، والقرحة، والألم، والغثيان، والصداع التوترى، وصداع الشقيقة، والعقم، واضطرابات ما قبل الطمث، والأرق، وارتفاع ضغط الدم.

كما يلعب الدعاء دورا مهما في مساعدة الناس على مقاومة الظروف الصعبة كالأزمات المزمنة والوفاء، حيث يوفر معنى، وهدفا، وأملا، وإحساسا بالقيادة أو السيطرة. إن

أما في الغرب فتتمثل الصلاة التأملية بالتركيز على تهدئة النفس وفتح القلب كي يستمع للرب مع أداء صلوات تذكرنا بالمانترا، وقد درس الدكتور هيرت بونسون تأثير الصلاة التأملية فوجد أن لها فوائد صحية كثيرة.

ويستعمل الكثير من المعالجين الدعاء كنوع من العلاج الروحاني، ويقومون بأدائه بعيداً عن المريض أو بوضع أيديهم عليه، سعياً منهم لجعل الوعي اللامحدود والإدراك والمحبة (أو ما يعرف بالرب أو العقل اللامكاني) يعبر عن نفسه من خلال المعالج.

وتوجد أنماط أخرى للمعالجة الروحانية تتمثل في توجيه المعالج لطاقته نحو المريض لتغيير طاقته أو شحنها من جديد أو تركيزها باستعمال أيديهم أو أصابعهم، ومن أمثلة هذا النمط من المعالجة: الريكي، والعلاج باللمس، والكيغونغ، كما يقوم بعض المعالجين النفسانيين بالعلاج عن بعد لإزالة بعض الأعراض المرضية.

المستلزمات

يستطيع المرء أن يدعو في أي مكان وزمان، ولا حاجة لأية مستلزمات إضافية كي يقوم بهذا العمل. ومع هذا، قامت الكثير من التقاليد الدينية بتطوير أنماط أو ممارسات خاصة تستخدم أثناء الدعاء: كاستعمال المسبحة وكتب الأدعية والملابس الخاص، وهي تعتبر من الأمور المهمة لدى من يمارس هذا النوع من الأعمال وتساعد على تركيز انتباهه أثناء الدعاء.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية يوجد الكثير

من رجال الدين الذين يستطيعون تقديم شرح للممارسات المتنوعة التي يقومون بها أثناء الدعاء والسبب الذي يجعلها مفيدة في هذه العملية.

الاحتياطات

إن الدعاء والعلاج الروحاني ليس بديلاً عن وسائل العلاج الطبي الأخرى، فهي ممارسات تكميلية، ويجب على المرضى الذين يعانون من أمراض شديدة أن لا يؤجلوا الحصول على الرعاية الطبية اللازمة من خلال تفضيل العلاج الروحاني على العلاج الطبي التقليدي.

وثمة خطر آخر يفرضه هذا النوع من العلاج، حيث نصت بعض الأبحاث على أن بعض الأحياء الدقيقة قد تتشبث بفعاليتها اعتماداً على تركيز المعالج، كما توجد إشارات في بعض الثقافات إلى «الدعاء السلبي».

الأبحاث والقبول العام

في عام 1996 أجرت مؤسسة غالوب استطلاعاً للرأي جاء فيه أن 90% من الأمريكيين يمارس الدعاء وأن 75% يمارسه بشكل يومي، وكانت دوافع الدعاء مختلفة: كطلب السلامة (98%)، وتقديم الشكر (94%)، وطلب القوة والهداية (92%)، والتوبة (92%)، أي أن 82% من الأمريكيين يدعوا من أجل الصحة والشفاء، وبذلك يصبح الدعاء من أكثر الممارسات العلاجية التكميلية شيوعاً.

وقد قام باحث أمريكي بأعداد قائمة تضم الدراسات المنشورة بالانكليزية منذ عام 1993 والمتعلقة بالعلاج الروحاني، فوصل عددها إلى أكثر من 130 دراسة تشير إلى فعالية هذا



قدرتها على إحداث التغيير المطلوب.

إن قبول الأوساط الطبية للمعالجة الروحانية متفاوت ومختلف، فالبعض يعتقد بقوة بأنه يجب عدم الخلط بين الطب والعلاج الروحاني، وأن الأطباء والممرضين يجب أن يستعينوا برجال الدين في الأمور الروحية فقط.

لكن استطلاعات الرأي التي أجريت بدءاً من عام 2002، أظهرت بأن معظم الأطباء والممرضين الأمريكيين (حوالي 76% منهم)

يشعرون بالراحة لمشاركة المريض في دعائه عندما يطلب منهم ذلك، كما يقوم 96% منهم بمناقشة الأمور الروحانية والدينية مع المرضى الذين يعانون من أمراض تهدد حياتهم.

لقد حاول بعض الباحثين حديثاً أن يضعوا معايير لتقييم الممارسات الروحانية، وذلك من أجل إيجاد مبادئ ناظمة لعملية المقارنة بين النتائج التي

خلصت إليها الدراسات المختلفة التي أجريت حول هذا النوع من العلاج.

ومن المعايير التي وضعوها: معيار الممارسة الروحانية اليومية (DSES)؛ وهو استبيان يتألف من 16 سؤالاً، بالإضافة إلى مؤشر ايرونسون- وود للعلاج الروحاني (SR) الذي يقوم بقياس 4 عوامل هي:

النوع من العلاج.

ومن هذه الدراسات، دراسة أجرتها كلية الطب في جامعة كاليفورنيا حول 393 مريضاً يعانون من مشاكل في القلب، حيث تم تقسيمهم إلى فئتين:

الأولى/ لديها من يدعو لها خارج المستشفى (داع وسيط).

الثانية/ ليس لديها ذلك.

وكانت النتيجة أن الفئة الأولى تميزت بعدد أقل من حالات الوفاة، والتدخل الطبي، والمضاعفات. كما تذكر مساهمة الدكتور لاري دوسي، وهو أحد من تشاركوا كرسي التداخل بين الجسم والنفس في مكتب الطب البديل في المعهد الوطني للصحة عام 2000، حيث ألف عدة كتب تتعلق بالدراسات المخبرية التي أجريت حول العلاج الروحاني، والرفض الذي جوبهت به الدراسات المتعلقة بهذا النوع من العلاج عبر التاريخ من قبل الأوساط العلمية.

وتوجد دراسات، منها ما أجرته جامعة دوك، تثبت بأن الانخراط الفعال في المجتمع المتدين والدعاء المستمر يؤدي إلى تأثير قوي في مجال المحافظة على مستوى طبيعي لضغط الدم والإقلاع عن التدخين.

كما أجريت حوالي 200 دراسة تقريباً خلال العقود الثلاثة الماضية حول قدرة الدعاء على إحداث تأثيرات على الإنسان والحيوان والنبات والأحياء الدقيقة، وكانت النتيجة بأنه لا يمكن تعيين طريقة للدعاء تمتاز على طريقة أخرى فكلها سواء في مستوى

الدعاء وغيره من

الوسائل الروحانية

ذات تأثير مثمر

على الأشخاص

الذين يعانون

بشكل خاص من

اضطرابات ناجمة

عن الإجهاد المفرط

توجد في الولايات

المتحدة الأمريكية

جمعيات وحركات

ضخمة من

ممارسي المعالجة

الروحانية بدأت

بالظهور منذ أوائل

القرن التاسع عشر

اليهود.

أما المعالجون الروحانيون الذين ينتمون إلى تقليد أقل تنظيماً فقد يأخذون تراخيصهم من المعاهد المتخصصة في العلاج بالطاقة، أو تعترف بهم جماعة دينية بالنظر لكفاءتهم العلاجية، أو يبدؤون ممارسة العلاج من خلال وسائل أخرى.

وقد أنشأ المعالجون الروحانيون من السكان

الأصليين في أمريكا هيئة لتنظيم شؤونهم أطلقوا عليها اسم مجلس المعالجة التقليدية للسكان الأصليين، وهو يقوم بمهمة إعطاء التراخيص لممارسة المعالجة إضافة إلى حماية سمعة طقوسهم التقليدية في العلاج.

إن الكثير من المعالجين الروحانيين يقوم بتطوير تقنياته العلاجية بشكل ذاتي، فأي شخص مهتم بهذا المجال يمكنه تطوير قدره علاجية لنفسه من خلال التأمل والدعاء والتدارس مع المعالجين الخبراء والممارسة. كما توجد الكثير من كتب التعليم الذاتي حول التأمل والدعاء، لكن الاستهداء الذاتي يفيد دائماً في التوصل إلى مهارات هذا النوع من العلاج، إضافة إلى ما تقوم به الكنائس والمراكز الدينية الأخرى من توفير للوسائل الروحانية كالدعاء والتأمل والدراسة.

• الإيمان بالرب

• الإحساس بالطمأنينة

• السلوك الديني

• رقة القلب تجاه الآخرين.

وقد تم استعمال هذا المؤشر لدراسة تأثير العلاج الديني والروحاني على مرضى الأيدز.

التدريب والترخيص

بشكل عام، يتلقى رجال الدين في الولايات المتحدة الأمريكية تدريباً خاصاً حول الحاجات النفسية والروحانية للمرضى، وبشكل خاص، توجد هيئة تدعى نقابة المستشارين الدينيين الأمريكية (AAPC) تعنى بأعطاء تراخيص لرجال الدين المسيحيين الذين يتلقون تعليماً متقدماً في العلوم النفسية إضافة

إلى تعليمهم الديني، ولها حوالي مئة فرع في عموم أمريكا من أجل الترخيص لرجال الدين الذين يعملون في الجناح الديني في المستشفيات أو في مستشفيات الأمراض النفسية.

كذلك، يوجد لدى الديانة اليهودية في أمريكا نقابة مماثلة تدعى بالنقابة الوطنية لرجال الدين

إن العلاج بالروحانيات

في الغرب مغرق

بالقدم ويعود إلى

زمان الأحداث التوراتية

والإنجيلية حينما كان

المسيح وأنبياء بني

إسرائيل يعالجون

المرضى والمصابين

بقوة الدعاء

عواصف

العلماء يلاحظون تزايد حالات
حدوث الأنماط المدمرة من
العواصف

في خضم حالة الاستسلام التي
ثلت التدمير الذي تعرضت له
مدينة نيواورليانز الأمريكية جراء
إعصار كاترينا، كان يدور همس
يتساءل عن السبب الذي يقف
خلف تفاقم شدة الأعاصير .

وقد احتوى عدد مجلة (سينس)
الصادر مؤخرا على مقال أعده
الدكتور بيتر ويبستر وزملاؤه من
معهد جورجيا للتكنولوجيا في
ولاية أطلنطا، وفيه يفترض
هذا العالم بأن الأعاصير تتفاقم
شدتها، ولكن بطريقة وحيدة
محددة

هوجاء

تتشكل الأعاصير فقط فوق المحيطات التي تزيد حرارتها عن 26 درجة مئوية، وهذه حقيقة علمية معروفة جيداً، لكن الجدل يكمن في التأثير، إذا كان هنالك من تأثير، الذي يحدثه ازدياد درجة الحرارة عن هذا الحد. فقد يزداد نتيجة لذلك عدد العواصف، أو مدة استمرارها، أو قوتها القصوى أو نسبة القوي منها. وربما لا يكون لها أي تأثير. وبما أن معدلات درجات حرارة سطوح المحيطات قد ارتفعت حوالي نصف درجة منذ عام 1970، فإن هذا السؤال يبدو عديم الجدوى. وفي الواقع، تم طرح هذا السؤال من قبل، وخاصة في ما يتعلق بحوض شمال الأطلسي وحوض شمال الهادي، وذلك لأنهما محاطان بدول تمتلك القدرة على طرح تساؤل كهذا. أما الدكتور ويبستر، فخالف هذه العادة، وتفحص كامل الكرة الأرضية، أي أحواض المحيطات الستة، من خلال مراقبة درجة حرارة سطوحها وتصرفها كحاضنات للأعاصير.

قام الدكتور ويبستر وزملاؤه باستعمال البيانات التي ترسلها الأقمار الصناعية من أجل الحصول على نتائج مراقبة منسجمة على امتداد الكرة الأرضية. (وهذا كان السبب الذي أدى إلى عدم دراسة الحالات التي وقعت قبل العام 1970، حيث لا توجد نتائج مراقبة كافية). وبتحليل درجات حرارة سطوح الأحواض الستة (شمال الأطلسي، وغرب الهادي، وشرق الهادي، وجنوب غرب الهادي، وشمال الهندي، وجنوب الهندي)، توصلوا إلى نتيجة إحصائية مفادها أن زيادات مهمة تلاحظ في درجات حرارة سطوح تلك الأحواض ما عدا حوض جنوب غرب الهادي.

لقد وجد هؤلاء العلماء من خلال تفحص هذه الأعاصير بأنفسهم، أنه ما من زيادة طويلة الأمد في عدد الأعاصير أو فترة

بتحليل درجات حرارة

سطوح الأحواض الستة

(شمال الأطلسي،

وغرب الهادي، وشرق

الهادي، وجنوب غرب

الهادي، وشمال

الهندي، وجنوب

الهندي)، توصل

العلماء إلى نتيجة

إحصائية مفادها أن

زيادات مهمة تلاحظ

في درجات حرارة

سطوح تلك الأحواض

ما عدا حوض جنوب

غرب الهادي.

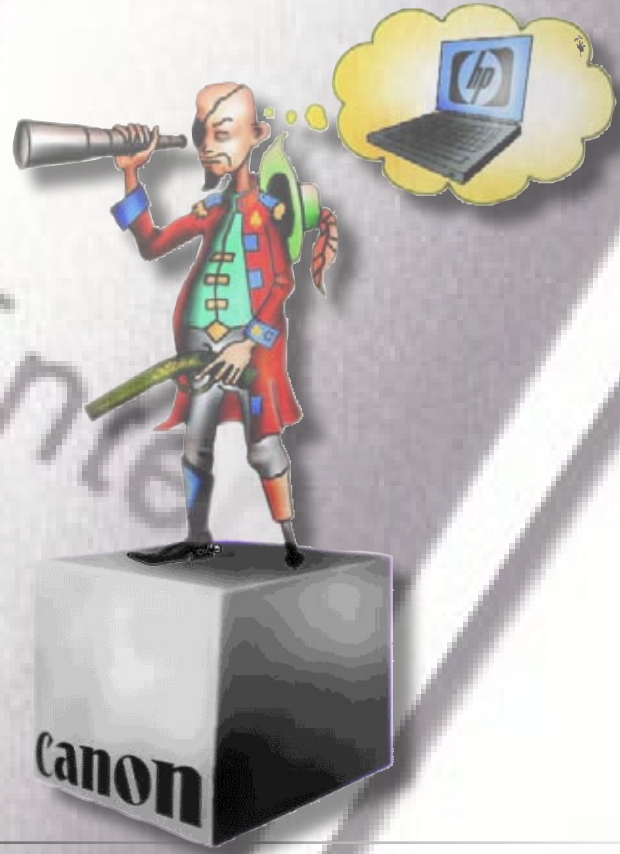


استمرارها في أي من هذه الأحواض، ما عدا حوض شمال الأطلسي، حيث لوحظت زيادة هذين العنصرين معا. ولم تكن هذه المعلومات تحمل أخبارا سعيدة لدول حوض الكاريبي والولايات المتحدة الأمريكية، التي تتحمل وطأة هذه الأعاصير، لكنها تفترض في نفس الوقت أنه مهما كانت الزيادة في احتمال حدوث الأعاصير فإنه لا علاقة لها بازدياد درجة حرارة المحيطات، أو على الأقل، ليس ازدياد درجة حرارة المحيطات سببا وحيدا لحدوث هذه الزيادة. فإذا كان لها علاقة، فسيتحتم تبعا لذلك أن تحصل هذه الظاهرة في أماكن أخرى حيث يلاحظ ارتفاع درجة حرارة البحر.

كذلك، لم يلاحظ العلماء ازديادا في السرعة القصوى التي تبلغها الرياح في أي مكان. ومهما يكن من أمر، فإن الذي وجدوه هو تضاعف نسبة حدوث العواصف التي تنتمي إلى معظم الدرجات المدمرة (الدرجة 4 أو 5 على مقياس سفير-سيمبسون الذي درج على استعماله علماء الأنواء الجوية). كما وجدوا بأن هذه الزيادة في النسبة كانت كبيرة في كل الأحواض، على الرغم من تفاوت قيمتها الدقيقة بين حوض وآخر.

من الطبيعي أن يكون السبب المؤدي إلى هذه الزيادة موضع جدل بين العلماء، وبما أن الزيادة الثانية من حيث القيمة كانت من نصيب حوض جنوب غرب الهادئ، حيث لم يلاحظ وجود زيادة مهمة في درجة الحرارة، فإنه من التهور الاعتماد على الفرضية القائلة بأن تغير درجة حرارة سطح البحر هو السبب الأساسي في حدوث الأعاصير. أما الذي يعتقده الدكتور ويبستر فهو أن أمرا ما شديد الخطورة يحصل، وقد ينكشف مع مرور الأيام.

قرصنة الملكية الفكرية



حققت الصين نموًا هائلًا على صعيد الحصول على عقود التصنيع وفق رغبة الشاري، مما جعلها مصدر نصف الإنتاج العالمي من الألعاب والراديو ومشغلات الدي في دي والهواتف وآلات التصوير وغير ذلك من أصناف البضائع، لكنها مع ذلك مصدر للكثير من المنتجات المقلدة بشكل غير شرعي، فهذه الدولة تبهر العالم الآن بقدرتها الكبيرة على إغراق الأسواق ببضائع مقلدة ومزيفة.

... الصين نموذجا



نستطيع أن نفهم المفارقة الكائنة بين دعم الصين لجهود الدولية من أجل مكافحة انتهاك حقوق الملكية الفكرية، وبين مشاريع قوانين نشرت السنة الماضية تشجع الشركات الصينية قرصنة أي تكنولوجيا تراها الشركات الصينية ذات فائدة لها.

كيف حدث ذلك؟ بما أن الحكومة الصينية هي المسيطر الوحيد على الأعمال، فإن الأطراف الأخرى المضادة ليست ذات تأثير يكر في الحفاظ على حقوقها. وتتفاقم المشكلة بشكل أكبر عندما تجري القرصنة على أمور غير مادية كالعلامات التجارية والأفكار سواء كانت محمية أم لا.

إن بروز الصين كقوة اقتصادية جاء في وقت من السهل فيه تناقل الأفكار والتقنيات وبالتالي القرصنة. فمثلا من السهولة بمكان أن يقوم موظف في شركة جوهري بالبحار عبر الانترنت ليتمكن من الحصول على ثغرة في إحدى عقود الامتياز، وينفخ السهولة يمكن لأحدهم أن يصور فلما بشكل سري في إحدى صالات السينما في نيويورك ثم ينقله عبر الانترنت في عدة دقائق ليستقر في الصين منسوخا على اسطوانة ليزيرية خلال ساعات معدودة. إن تحالف التكنولوجيا مع العولمة أدى إلى حدوث أكبر عملية نسخ في تاريخ الإنسانية.

يقوم الآن ممثلو واشنطن في الكونغرس بالتهيو لمعركة حقوق

وحول هذا الأمر يقول التجار الذين يتعاملون مع الشركات الصينية بأن هذا التجاهر السمج للحقوق

الفكرية للشركة الأم إنما هو أمر طبيعي في السوق الصينية التي تمضي أول أيامها على طريق التحول من اقتصاد الدولة الموجه إلى اتجاه السوق، ويؤكدون على أن هذه المشكلة ستخف مع مرور الزمن ونضج القوانين الصينية لتتولى اهتماما كبيرا للحقوق الفكرية كما هو الحال في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية.

لكن ... هل يوجد تاجر أحق بما فيه الكفاية ليصدق هذه الفرضية، فالصين بلد تقوم الحكومة

فيه بالإشراف على المصانع المكونة للقاعدة الاقتصادية. وهذا يعني أن عملية القرصنة الجارية إنما هي سياسة حكومية، وقد تقوم الحكومة بالحد من القرصنة التي تمارسها بعض الشركات الصغيرة

التي تسوق منتجاتها في الشوارع، لكن حماية التكنولوجيا القادمة من الخارج أمر مختلف كلياً، وهذا يفسر الانتصار الذي أعلنته بكين على تجارة الشوارع بالدي في دي المقرصن بنقلها هذه التجارة إلى محلات مرخصة توفر هذه السلعة بشكل ملائم، وبنفس الطريقة انتهت أعوام من مكافحة الملابس الرياضية والساعات اليدوية المقرصنة إلى نصر مزيف تمثل بفتح محلات توافق عليها الدولة وتبيع تلك المنتجات ذاتها، وبهذا

الصين - الآن - مصدر

للكثير من المنتجات

المقلدة بشكل غير

شرعي، فهذه الدولة

تبهر العالم الآن

بقدرتها الكبيرة على

إغراق الأسواق ببضائع

مقلدة ومزيفة

يقوم الآن ممثلو

واشنطن في الكونغرس

بالتهيو لمعركة حقوق

الملكية الفكرية التي

أصبحت الشغل الشاغل

للكونغرس حالياً، وحالما

تتضح الصورة العامة

لل قضية فإن إجراءات

فعالة ستتخذ متضمنة

تعزيز حماية الحكومة

للحقوق العامة

الملكية الفكرية التي أصبحت الشغل الشاغل للكونغرس حاليا، وحالما تتضح الصورة العامة للقضية فأن إجراءات فعالة ستتخذ متضمنة تعزيز حماية الحكومة للحقوق العامة، لكن النظام الصيني المتخلف قانونيا لا يتصل بقوة بنظام التجارة العالمية، مما يؤكد ضرورة ربط النظام الاقتصادي الصيني بالحركة التجارية العالمية وواقعها الجديد المنشود.

من المستحيل هزيمة القرصنة بالضربة القاضية، لكن يمكن تخفيفها بوسائل عدة، منها ما قامت به شركات الإنتاج الموسيقي في صراعها مع مواقع الانترنت التي تقدم موسيقا مجانية مثل نابستار، وهكذا تقوم الشركات الأمريكية بالحد من القرصنة عبر اتباع أساليب، ومن هذه الأساليب:

- تخفيض الأسعار المخصصة للأسواق النامية.

- بيع تراخيص الأفلام والألعاب والموسيقا على

نطاق عالمي.

- الاعتماد على عائدات دعم المنتج وخدمات ما بعد البيع دون المنتج نفسه، وهذا ما هو حاصل في حالة نظام التشغيل لينوكس.

أخيرا نقول: إن قرصنة الحقوق الفكرية أمر معاش وحقيقة واقعة من حقائق الحياة، وهذا لا يعني أنه أمر مشروع، ومن الضروري إيجاد الوسائل القانونية لمكافحة، لكن الوسائل القانونية والسياسية لوحدها لا تتكفل بحل المشكلة.

النظام الصيني المتخلف قانونيا

لا يتصل بقوة بنظام التجارة

العالمية، مما يؤكد ضرورة ربط

النظام الاقتصادي الصيني

بالحركة التجارية العالمية

وواقعها الجديد المنشود.

من المستحيل هزيمة القرصنة

الفكرية بالضربة القاضية، لكن

يمكن تخفيفها بوسائل عدة

تجارة الأدمغة

إن جماهيرية التعليم العالي قد أدت إلى إجبار الجامعات على أن تكون أكثر تنوعاً وعالمية وتنافساً بالنسبة لهؤلاء الذين ينتمون إلى عمر محدد وخلفية تعليمية خاصة، فإنه من الصعب التفكير بالتعليم العالي دون التفكير بالهيئات التعليمية القديمة. فبعض الجامعات بلغ من العمر أمداً طويلاً، كما هو الحال في جامعة بولوغنا الإيطالية التي تأسست عام 1088م وجامعة أوكسفورد البريطانية التي تأسست عام 1096م، والكثير منها يتمتع بمراكز شديدة للتقنية. وبينما تعمل الجامعات القديمة على التأكيد على عراقتها،

ترجمة وإعداد / فخر الملوك البغدادي

تقوم الجامعات الحديثة ذات الصيت الحسن بالعمل جاهدة من أجل صنع هالة من الأصالة حولها.

ويلاحظ في هذه الأيام أن هذه الجامعات التي تحافظ على عراقتها (أو تصنعها بالعراقة) تكابد عاصفة قوية من التغييرات الأساسية إلى حد قول البعض بأن جوهر فكرة الجامعات يتعرض إلى تحدٍّ. حيث تجرب الجامعات حالياً طرق التمويل الجديدة (أكثرها ملاحظة طريقة الأقساط)، والدخول في شراكات مع مؤسسات خاصة، والاتحاد مع جامعات أخرى أو الاستحواذ عليها. ومثل هذه التغييرات كفيل بهز البنية الجامعية من جذورها.

إن هذا يحدث بتأثير أسباب أربعة: أولها دخول الديمقراطية إلى التعليم العالي أو ما يدعى بظاهرة الجماهيرية حسب التعبير الجامعي

المختص. فقد تضاعفت نسبة حاملي المؤهلات الجامعية في دول منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية في الفترة 1975-2000 من 22% إلى 41%. لكن أكثر الدول الغنية ما زال يحاول توفير الوظائف اللازمة لهؤلاء. وفي الوقت الراهن تنتشر ظاهرة الجماهيرية الجامعية في دول العالم النامي؛ حيث تضاعفت نسبة الطلاب الجامعيين في الصين وأخر تسعينات القرن الماضي، كما تحاول الهند أن تلحق بالركب.

أما السبب الثاني فهو نهوض اقتصاد المعرفة؛ حيث يعيش العالم اليوم تحت سيطرته « ثورة سلمية » حلت فيها المعرفة محل المصادر المادية كمحرك رئيسي للنمو الاقتصادي. ففي دول منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية وخلال الفترة 1985-1997 ارتفعت نسبة مساهمة قطاع التعليم العالي في الناتج العام من 51% إلى 59% في ألمانيا، ومن 45% إلى

✳ بلغ الإنفاق العالمي على

التعليم العالي 300 بليون دولار

سنوياً، أي ما يقارب 1 % من

مجموع مداخل العالم. / البنل

الدولي

✳ هناك 80 مليوناً من الطلاب

من بين سكان العالم، وهؤلاء

يقوم على تعليمهم وإدارة

شؤونهم 3.5 مليون شخص

غيرهم. / البنل الدولي

إضافة إلى ما يلاحظ من تزايد عدد الدول التي تحاول جعل التعليم العالي شكلاً من أشكال الصادرات الصناعية.

أما السبب الرابع فهو المنافسة، حيث أجبرت الجامعات التقليدية على الدخول إلى حلبة المنافسة من أجل الحصول على الطلاب والمنح الدراسية، بينما تحاول الشركات الخاصة اقتحام ميدان جديد أسموه « الرعاية الصحية الجديدة ». وقد أصدر البنك الدولي إحصائية حول الإنفاق العالمي على التعليم العالي، حيث جاء فيها أنه بلغ 300 بليون دولار سنوياً، أي ما يقارب 1% من مجموع مداخل العالم. يذكر أن هناك 80 مليوناً من الطلاب من بين سكان العالم، هؤلاء يقوم على تعليمهم وإدارة شؤونهم 3.5 مليون شخص غيرهم.

معوقات المستقبل الواعد

51% في بريطانيا. ويلاحظ بأن أهم الشركات تركز ما لا يقل عن ثلث استثماراتها في حقول معرفية مكثفة ودقيقة: كالبحث والتطوير، والترخيص، والتسويق. إن الجامعات تعتبر من بين أهم محركات اقتصاد المعرفة، وليس ذلك لأنها تنتج الأدمغة العاملة التي توفر العنصر البشري فحسب، بل لأنها أيضاً تقوم بدور معظم العمود الفقري الذي يقوم عليه، بدءاً من المخابر والمكتبات وانتهاءً بشبكات الكومبيوتر.

وثالثاً تأتي العولمة، حيث أدى القضاء على عامل بعد المسافة إلى تغيير التقاليد الأكاديمية بنفس القدر الذي غير فيه تقاليد التجارة، ويذكر هنا أن عدد الطلاب من دول منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية الذين يدرسون في الخارج قد تضاعف خلال الأعوام العشرين الماضية ليبلغ 1.9 مليون، وبات الحرم الجامعي مفتوحاً يستقبل الطلاب من جميع أنحاء العالم.



مصابة بنقص التمويل؟

يمكن تلخيص مشكلة الجامعات في مقولة « كلمة (أكثر) تعني أن (الأسوأ) قادم في الطريق »؛ فالرواتب في بعض الجامعات منخفضة إذا قارناها بمثيلاتها في دول أخرى، والأبنية والمكتبات مهترئة. وفي الجامعات العملاقة كجامعة روما (180.000 طالب) وجامعة المكسيك الوطنية (أكثر من 200.000 طالب) وجامعة الأناضول التركية (530.000 طالب) لا يستطيع الأستاذ أن يولي الطلاب وقتا كافيا إذا لم يتخل عن الاهتمام بالشؤون الإدارية.

إن الطبيعة التقليدية للمهن الأكاديمية لا تساعد في حل المشكلة، لأن الجامعات الحديثة ولدت في عصر مختلف عن العصر الذي ولدت

يبدو مما سبق أن الجامعات تعيش عصرها الذهبي، لكننا إذا طالعنا الأمر عن قرب في الجامعات، وبخاصة في أوروبا، فلن نشعر بذلك؛ حيث يشكو الأكاديميون من انهيار « سلطة البروفسور»، والنزاعات التي تنشب بين الإداريين والسياسيين الذين يمولونهم. إذن، أين الخطأ؟

إن المشكلة الأكبر تتمثل في سلطة الدولة، فمع تزايد الحكومات التي تعتنق مبدأ جماهيرية التعليم، تجد القليل منها يستمد من حماسه هذه تصورا ملائما: فلا هي تمول الجامعات (كما هو الحال في الدول الاسكندنافية)، ولا هي تسمح للجامعات بفرض رسوم واقعية على الطلاب، بل تقوم بعملية تنظيم إداري للجامعات، ولكن، ما نفع هذا الإجراء إن كانت الإدارة نفسها



وهو أحد الخبراء في إدارة الجامعات: « بعد ثلاثين عاما من الآن سيتحول الحرم الجامعي إلى خربة. إنني أعتقد بأن بنية الجامعة البحثية الأمريكية التي استمرت 40 عاما ستنتهي بالفضل. » ولحسن الحظ، فأن الحل قادم بواسطة انتشار التعليم عبر الانترنت والجامعات الخاصة.

أما في الجهة الأخرى فيرى المثقفون التقليديون بأن أفضل طريقة للتقدم إلى الأمام هي بالرجوع إلى الخلف، وأن المبدئين المحركين لسياسات التعليم العالي الحالية (الديمقراطية والمنفعة) يؤديان إلى تدمير العرف الأكاديمي، وأنه من حماقة إهدار طاقات التعليم العالي على أشخاص يفضلون دراسة حياة ممثلي السينما عوضا عن حياة سقراط، وأن البحث عن

فيه الجامعات القديمة، إذ كانت أقلية محدودة تدخل التعليم العالي حينها، كما كان الكثير من الأكاديميين يحاولون دون تحقيق أي مظهر من مظاهر جماهيرية التعليم العالي. وعلى سبيل المثال، لا تزال الجامعات الإيطالية تصر على أن يجري الطلاب امتحانا شفويا أمام بروفيسور محنك ولمدة خمس دقائق فقط.

إذن، هل ثمة ما يمكن أن يفعل لحل المشكلة؟ إن المثاليين التكنوقراطيين يؤمنون أن التعليم العالي ناضج بما فيه الكفاية ليمر بعملية ثورية، وبرأيهم أن الجامعات الحالية ما هي إلا مؤسسات قديمة ميؤوس منها تتبع أساليب تعليمية عفا عليها الزمن، وهي عاجزة عن خدمة العالم الجديد الذي يتصف بالجمهور الكبير والمعلومات اللحظية. يقول بيتر دراكر



المنفعة يشوش على البحث عن المعرفة.

لكن هذه الادعاءات مردود عليها، فحجة المثقفين المحافظين تسقط عند أول حاجز تتعرض له: الواقع العملي للجامعات، فالتعليم العالي يندفع بالسرعة ذاتها التي اندفع بها التعليم الثانوي في ما قبل، ليصبح طموحا عالميا. أما حجة المثاليين التكنوقراطيين فهي جذابة من الخارج فقط، لأن الانترنت سيلقي بتأثيره على التعليم دون ريب، وستقوم الشركات الساعية إلى تحقيق الأرباح بهز الأسواق المحتضرة، لكن حدودا ستحكم هذا التوسع.

قبل عدة سنوات صدر عن مؤسسة كوبرز وليبراند تصريح جاء فيها أن التعليم عبر الانترنت سيزيل أكبر عنصرين مكلفين في ميزانيات الجامعات: « الأول هو أنه لم تعد هناك حاجة للحرم الجامعي التقليدي، والثاني هو أن الجامعات ستعمل على مدار الساعة.

إن التعليم عبر الانترنت لا يتطلب إلا عددا صغيرا من الأساتذة المختصين، ولكنه في نفس الوقت يحمل إمكانية الوصول إلى أكبر عدد من الطلاب». إن هذا الكلام عبارة عن هراء، لأن اللمسة الإنسانية أكبر تأثيرا في التعليم العالي من اللمسة الالكترونية: فالتعليم ليس مجرد عملية نقل لمجموعة من الحقائق (وهي المهمة التي يؤديها الانترنت بفعالية كبيرة)، بل هو تدريب المتعلم على المناقشة والاستنباط، وهو أمر يتم بأحسن صوره في مجتمع من العلماء.

إن الواقع الحالي للجامعات يشير إلى أن التغير الأهم في التعليم العالي يتعين بظهور نخبة قوية من الجامعات على الصعيد العالمي، وهذا التغير جذري من منظور أن هذه الجامعات تعتبر ساحة عملها تشمل العالم ككل، ويمكن النظر إلى هذا التغير على أنه تطوري من منظور بقاء هذه البنى التعليمية محكومة بشكلها التقليدي:

✳ إن الواقع الحالي

للجامعات يشير

إلى أن التغير الأهم

في التعليم العالي

يتعين بظهور نخبة

قوية من الجامعات

على الصعيد العالمي

✳ تتمثل مشكلة

صناع القرار في

وضع نظام للتعليم

العالي يوازن بين

الإتقان والجاهلية

بقدر ما تعتمد على الجذب الخارجي، وهي تستمد تمويلها من مصادر مختلفة؛ كالأقساط الجامعية، وتبرعات الطلاب القدامى، ورجال الأعمال العاطفيين، والمحسنين الكرام. كما تتعدد أشكالها وأحجامها: بدءاً من جامعتي برنستون ويال، وانتهاءً بكلية كالامازو الاجتماعية.

إن الاقتصاد المتطور يحتاج إلى تنوع كبير من الجامعات التي تقوم بمهام مختلفة؛ وهذان العنصران يدعم كل منهما الآخر: فكلما كثرت مشاريع الدولة، انبثقت أنواع جديدة من التخصصات الجامعية.

تصنيف جامعات العالم بحسب كفاءتها (اعتماداً على أداؤها الأكاديمي والبحثي، بما في ذلك جوائز نوبل والأبحاث الواردة في نشرات مرموقة).

مجموعة من العلماء الذين يجمعون بين التعليم والبحث.

تتمثل مشكلة صناع القرار في وضع نظام للتعليم العالي يوازن بين الإتقان والجاهزية، مما يفسح المجال لنخبة الجامعات العالمية بالعمل، ولتزويد عدد كبير من الطلاب بفرص إكمال تعليمهم، وهذا يؤدي إلى استثمار الفرص التي يتيحها التقدم التكنولوجي، مع مراعاة فكره احتياج التعليم إلى اللمسة الإنسانية.

إن النموذج الأمثل للجامعات موجود في الولايات المتحدة الأمريكية، فهذه الدولة تحتوي على أفضل جامعات العالم، وتوفر التعليم العالي لشريحة كبيرة من الطلاب، وهذا النجاح لا يعود إلى توفر التمويل اللازم (رغم أنه عنصر مساعد)، بل هو نتيجة التنظيم.

إن الجامعات هناك لا تعتمد على الجذب المحلي



الترتيب	الجامعة	الدولة
1	جامعة هارفارد	أمريكا
2	جامعة ستانفورد	أمريكا
3	جامعة كامبرج	بريطانيا
4	جامعة كاليفورنيا (بيركلي)	أمريكا
5	معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا	أمريكا
6	معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا	أمريكا
7	جامعة برينستون	أمريكا
8	جامعة أكسفورد	بريطانيا
9	جامعة كولومبيا	أمريكا
10	جامعة شيكاغو	أمريكا
11	جامعة يال	أمريكا
12	جامعة كورنيل	أمريكا
13	جامعة كاليفورنيا (سان دييغو)	أمريكا
14	جامعة طوكيو	اليابان
15	جامعة بنسلفانيا	أمريكا
16	جامعة كاليفورنيا (لوس انجلس)	أمريكا
17	جامعة كاليفورنيا (سان فرانسيسكو)	أمريكا
18	جامعة ويسكونسين (ماديسون)	أمريكا
19	جامعة ميشيغان (آن اربور)	أمريكا
20	جامعة واشنطن (سياتل)	أمريكا

عن مجلة الايكونوميست البريطانية

ملفمة من أجل نور



ترجمة واعداد / استيف الحائري

اللازمة لجلب جده نور التي سترافق حفيدتها إلى مدينة أطلنطا، عاصمة ولاية جورجيا، حيث سيقوم الدكتور دوجر هودغينز بأجراء عملية جراحية حساسة لإصلاح التشوه دون أن يتقاضى أجرا على ذلك. يقول الدكتور هودغينز: « علينا أن نقوم بأغلاق العمود الفقري، وما نخافه هنا أن تكون الطفلة قد التقطت العدوى بالتهاب السحايا، فهذا المرض قد ينتشر من عمودها الفقري ليصل إلى الدماغ ويقتل الطفلة، لذا فإن الوقت مهم جدا في هذه الحالة.»

السنسنة المشقوقة، أو ما يدعى عادة بالعمود الفقري المفتوح، هو تشوه وُلادي يحدث في الأشهر الأولى من الحمل عندما يفشل العمود الفقري في الانغلاق، مما ينتج تأثيرات على العمود الفقري وأحيانا يؤثر على الجبل

عندما قدمت قوات الحرس الوطني التابع لولاية جورجيا الأمريكية إلى بغداد في أوائل شهر ديسمبر الماضي، لم يكن لديهم تصور عن المهمة المختلفة التي ستدخلهم منعطفًا جديدًا في حياتهم العسكرية.

فبينما كان والدا الطفلة نور ينظران إلى هؤلاء الجنود بعصبية وهم يفتشون منزلهم المتواضع، اندفعت جدتها بحزم نحو الجنود وأرتهم الكتلة الأرجوانية البارزة من ظهرها.

لقد ولدت الطفلة نور منذ ثلاثة أشهر وهي تعاني من عاهة تسمى (السنسنة المشقوقة): وهو تشوه وُلادي ينتج عن عدم اكتمال نمو وانغلاق العمود الفقري.

وقد أخبر الأطباء العراقيون والدي الطفلة بأنها لن تعيش أكثر من 45 يوما، لكنها لا تزال متشبثة بالحياة بقوة، مما أثار الجنود الأمريكيين الذين كان من بينهم بعض الآباء.

يقول الملازم أول جيف مورغان عن هذه الحالة: « لقد رأيت هذه الطفلة على أنها الطفلة البكر لأبوين شابين، مما ذكرني بأطفالي الخمسة في وطني وبالخصوص ابنتي الصغيرة، وإنني أدرك بأن ابنتي لو تعرضت إلى الخطر فسأبذل كل جهد ممكن لإنقاذ حياتها، لذلك أشفق قلبي على هذه الطفلة وأبويها اللذين يعيشان حياة فقيرة ولا يتمكنان من مساعدة طفلتهما، وقد أدركت حين شاهدتها بأننا نستطيع تقديم المساعدة.»

ومن هنا بدأ مورغان ورفاقه العمل على تقديم العون الذي تحتاجه الطفلة نور، فأحضروها إلى ثكنتهم من أجل فحصها طبيا، واتصلوا بأصدقائهم في أمريكا وبالمؤسسات الخيرية هناك من أجل تأمين العملية الجراحية التي تلزمها لإنقاذ حياتها، ليقوم السيناتور ساكسي شامبليس من ولاية جورجيا بالعمل على تسريع الاستحصال على تأشيرات السفر



الشوكي، وهذا يؤدي إلى إعاقة غالباً ما تكون عصبية.

ويعتبر هذا التشوه أكثر التشوهات الولادية حدوثاً حيث يصيب 1500-2000 طفل سنوياً في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها، والتي تحتوي على حوالي 70.000 شخص يعيشون مع هذه الحالة طبقاً لإحصائيات جمعية السنسنة المشقوقة.

وتشير الدراسات الحديثة إلى أن هذه الحالة تندر عندما تواظب الأم على تناول حمض الفول قبل الحمل وأثناء الطور الأول منه.

ولهذه العاهة ثلاثة أنماط، وقد أصيبت الطفلة نور بالنمط الأشد منها، حيث تخرج الأنسجة الواقية والأعصاب من فتحة العمود الفقري، وهذا يترتب عليه أذية عصبية تتمثل

في عدة مشاكل من بينها: شلل كلي أو جزئي، اضطراب التحكم بالمتانة وجهاز الهضم، نقص القدرة على التعلم، والاكتئاب. وقد لوحظ أن الطفلة نور مصابة حالياً بفقدان الإحساس بقدميها.

ويرى الدكتور هودغينز بأنه من المحتمل أن تساعد الجراحة على إبقاء الطفلة نور حية لكنه لا يضمن شفاءها من حالتها؛ حيث يقول: « إن آمالنا وتوقعاتنا تنصب على إنقاذ حياة هذه الطفلة، وبعدها سنعمل على معالجة الأمور المتعلقة بنوعية حياتها ».

لقد أدت هذه الأخبار القادمة من أمريكا إلى تقوية عزيمة والدي الطفلة والجنود المعنيين بهذه القضية على حد سواء. يقول الملازم الأول مورغان: « لقد أعطتنا هذه القضية انعطافاً في عملنا الروتيني في ملاحقة المتمردين. إننا هنا لنكسب قلوب وعقول الشعب العراقي، ولكي نريهم أننا شعب منصف، لا من خلال مساعدتهم على إرساء الدستور فحسب، بل من خلال إعانتهم على حل المشاكل التي لا يتمكنون من التعامل معها، وهذه الطفلة تمثل الجهود التي نبذلها من أجل ذلك. »

لكن، وبالرغم من هذه المساعدة، يدرك الجنود بأنهم يعرضون حياة الطفلة وعائلتها للخطر؛ يقول الرقيب آرثر فوردي: « إننا نكثر دائماً لمسألة كون المتحدث مع أي شخص بشكل أكثر من المعتاد يجعله معرضاً للخطر، لذلك نقوم بعمل الكثير من الإجراءات الاحتياطية لضمان سرية هويات هؤلاء الأشخاص؛ فنزورهم حينما نتمكن، وغالباً ما يكون ذلك بعد منتصف الليل، وبشكل سري قدر ما نستطيع، وذلك لأن المتمردين في العراق يبحثون عن الأشخاص الذين نحاول مساعدتهم من أجل إرهابهم أو تعريضهم لممارسات أسوأ. »



أمل جديد يلوح في الأفق
مباشراً بأدوية أرخص ثمناً
لمعالجة الأمراض التي
تشيع في أوساط الفقراء
«إن شركات صناعة
الأدوية الكبيرة هنالك مع
تجار الأسلحة»

ترجمة واعداد/ استيرق الحائري

أدوية الفقراء

جاءت هذه العبارة على لسان إحدى شخصيات الفيلم الجديد «المزارع المخلص» المقتبس عن رواية لـ (جون لوكاري) تتحدث عن الصفقات الخبيثة التي تعقدها شركات صناعة الأدوية الكبيرة في إفريقيا. في الواقع، يتطابق الخيال هنا مع الواقع، حيث تلام شركات صناعة الأدوية على طبيعة أداؤها إزاء العالم النامي، من حيث الأسعار والامتيازات التي تقف عائقاً دون الحصول على حق تصنيع الأدوية الحالية، أو استثمارها الضئيل في مجال صناعة أدوية جديدة لعلاج الأمراض التي تصيب الطبقات الفقيرة بشكل خاص من سكان هذا الكوكب.

الأدوية المتعلقة بالأمراض المهملة، بالإضافة إلى 18 دواء مستقبلياً لا يزال في مرحلة التجربة السريرية. وإذا ما طبقنا المعايير الطبيعية في احتمالات قبول الأدوية (حيث تتطلب عملية التطوير الدوائي مدة طويلة من الفحوص والتجارب)، فيمكننا القول بأننا سنحصل على ثمانية أو تسعة أدوية جديدة خلال الأعوام الخمسة المقبلة، وهو تطور ملموس عن الأداء السابق. وفي الواقع، يوجد الآن دواءان جاهزان منها ينتظران موافقة اللجان المختصة.

يبدو أن السبب الكامن خلف استئناف هذه الفعاليات، هو التوجه الجديد في مجال الشراكات ما بين العام والخاص، وهو أمر أدى إلى تضافر مساهمات الشركات ومراكز الأبحاث، ودراسات أقسام البحث والتطوير، مما أدى إلى ارتفاع كبير في مقدار الأموال التي تقدمها الجهات الداعمة، كمؤسسات الإعانة، من أجل تمويل المشروع بأكمله، علماً بأن المشاريع



لكن الصورة أصبحت أكثر إشراقاً مع البحث الذي نشرته (مجلة بلوس) العلمية للدكتور ماري موران وزملائها. حيث درس فريق الدكتور موران البحوث والتطبيقات التي أجريت على أدوية عشرة أمراض مهمة من أمراض العالم النامي، بما فيها مرضا السل والملاريا اللذان يقتلان حوالي ثلاثة ملايين شخص سنوياً ويصيبان عدداً ملايين غيرهم. إن هذه الأمراض لم تكن تشكل سوقاً تهم شركات صناعة الأدوية الكبيرة مما يجعلها تنفق أموال البحث والتطوير عليها، وذلك إذا تمت مقارنتها مع سوق مضادات السرطان الجديدة في العالم الغربي.

في الفترة (1999-75) تم اصطناع 13 دواء جديداً فحسب للأمراض المهملة، كما خرج العديد من شركات صناعة الأدوية الكبيرة دفعة واحدة من ميدان الأمراض الاستوائية.

تري الدكتور موران، بأنه كان هناك زيادة مهمة في النشاط منذ العام 2000، إذ يوجد الآن على الأقل 63 مشروعاً جارياً لتطوير

يوجد الآن على الأقل 63 مشروعاً جارياً لتطوير الأدوية المتعلقة بالأمراض المهملة، بالإضافة إلى 18 دواء مستقبلياً لا يزال في مرحلة التجربة السريرية. إذا ما طبقنا المعايير الطبيعية في احتمالات قبول الأدوية، فيمكننا القول بأننا سنحصل على ثمانية أو تسعة أدوية (للامراض المهملة) جديدة خلال الأعوام الخمسة المقبلة، وهو تطور ملموس عن الأداء السابق

الداخلية في هذه الشراكات تشمل ثلاثة أرباع مجمل مشاريع الأدوية الخاصة بالأمراض المهملة.

إن هذا يعني بأن شركات صناعة الأدوية الكبيرة تستطيع أن تزيج عن كاهلها قسما مهما من عبء تكاليف عمليات البحث والتطوير لتتحمله هذه الشراكات (خاصة في ما يتعلق بالمخاطرة التي توجد ضمن مرحلة التجارب السريرية في البلدان النامية)، مما يعطي هذه الشركات فرصة التركيز على عملها في البحوث الأولية التي لا تتطلب كلفة مادية كبيرة. لذا، فإنه على الرغم من أن هذه الشركات قد لا تتوقع أرباحا كبيرة لمنتجاتها، فإنها ستقوم بتدبر عملية تخفيض أسعارها، وهذا يفيد في إصلاح صورتها القبيحة التي تبدو في فيلم «المزارع المخلص»، وبناء علاقات جيدة مع الحكومات، وحتى الحصول على شركاء تجاريين في بلدان كانت يوما مجرد أسواق تدفع لهم الأموال دون أن تستطيع امتلاك أسهم في هذه الشركات.

طبعاً، إن المزج بين المؤسسات الربحية وغير الربحية ليس بالأمر السهل، وهذه الشراكة تتطلب في بعض الأحيان براعة كبيرة لإدارتها. لكن، ومهما يكن من أمر، فإن الدكتور موران تدعي بأن الشركات الدوائية بدأت تسوق منتجاتها بأسعار معقولة.

في الفترة (2000-2004) خططت هذه الشراكات للحصول على 40 مشروعاً لتطوير الأدوية بكلفة زهيدة تصل إلى 112 مليون دولار. لكن الأمور بخواتيمها، فإذا وصلت هذه الأبحاث إلى مراحلها الأخيرة أكثر تكلفة -

خاصة التجارب السريرية على مدى واسع - ، سيترتب على هذه الشراكات دفع مبالغ تصل إلى مستويات لا تستطيع سوى الحكومات تأمينها، وذلك بالنظر بعين الاعتبار إلى غياب الحافز الربحي.

حاليا تقوم الحكومات بدفع أقل من 20% من تكاليف هذه الشركات. وترى الدكتور موران أن خطر تحول الصناعة الدوائية إلى صناعة ربحية مستقلة في عمليات التطوير الدوائي قد يلوح في الأفق مع استمرار المقترحات الحالية، كأن تتعهد الحكومة بشراء الأدوية المنتجة وبهذا تصنع السوق الشارية من خلال التعهد بشراء كميات كبيرة من المنتجات الجديدة المخصصة لعلاج الأمراض المهملة.

في الواقع، من الأمور التي تبعث على السخرية، أن نجد شركات الأدوية البارعة قد اكتشفت قيمة العمل غير الربحي في نفس النقطة الدقيقة التي تتدارس فيها الحكومات فكرة كون الطريق الأنسب لمتابعة العمل في هذا المجال هي الطريق الأكثر تساوفاً مع فكرة الرأسمالية الجشعة.

عن مجلة الايكونوميست البريطانية

من الأمور التي تبعث على السخرية، أن نجد شركات الأدوية البارعة قد اكتشفت قيمة العمل غير الربحي في نفس النقطة الدقيقة التي تتدارس فيها الحكومات فكرة كون الطريق الأنسب لمتابعة العمل في هذا المجال هي الطريق الأكثر تساوفاً مع فكرة الرأسمالية الجشعة.

في الإحساس بالألم بين الرجل المرأة

الفرق



ترجمة واعداد / استبرق الحائري

* الدارات العصبية التي

تتعامل مع الألم في
دماغ المرأة ليست هي
ذات الدارات العصبية
التي تتعامل مع الأمر
نفسه في دماغ الرجل

* يتوقع العلماء أن

إنتاج أدوية مضادة
للألم خاصة بجنس
دون غيره مراعاة لهذا
الاختلاف، إنما هي
مسألة وقت لا أكثر.

يختلف الذكور عن الإناث
في الإحساس بالألم، وتصح
هذه المقولة حتى عند
الأطفال، فإذا أصيب الطفل
الذكر بأذى جسدي تراه يزم
شفتيه أما إذا أصيبت الطفلة
بنفس الأذى فستلجأ إلى
وسيلة الفتيات المعهودة،
وهي النياحة.

يمكن الافتراض أن جزءاً من
أسباب الاختلاف في هذا
السلوك يعود إلى التعلم،
لكن لا يمكن إغفال كون
الفضرة الإنسانية جزءاً آخر
من هذه الأسباب، والاكيف
نستطيع أن نفسر وجود
هذا الاختلاف بين الذكور
والإناث المولودين حديثاً،
حيث لوحظ اختلاف

الاستجابة للألم بعد ست ساعات من
الولادة، فأين التربية والتعليم من هذا؟ بل
لوحظ أن الجردان تسلك ذات السلوك حيث
تتحمل ذكور الجردان إحساس الألم أكثر من
إناثها، وهكذا يستمر هذا الاختلاف عبر
مدى عمر الإنسان كصفة متجذرة فيه.

إن هذه الحقائق يؤيدها الباحث إد كيو
وزملاؤه في جامعة باث البريطانية حيث
أدت بحوثهم إلى اكتشاف أمرين مهمين
هما:

1- عدد المواقع التي يحتمل أن تشعر المرأة
بألم فيها أكثر مما هي عليه عند الرجل.

2- تواتر الإحساس بالألم عند المرأة (أي
عدد مرات إحساسها بالألم خلال حياتها)
أكثر مما هو عليه عند الرجل.

من هنا يعتقد الكثير من العلماء أن
الاختلاف الجيني يقدم جزءاً من تفسير
ظاهرة إحساس المرأة بالألم أكثر من الرجل.
ومن العلماء من يذهب إلى أبعد من ذلك
حيث يعتقدون بأن الجنسين لا يختلفان
في الإحساس بالألم كمياً فحسب، وإنما
كيفياً أيضاً، حيث يرون بأن الدارات العصبية
التي تتعامل مع الألم في دماغ المرأة ليست
هي ذات الدارات العصبية التي تتعامل مع
الأمر نفسه في دماغ الرجل، وبالتالي، فهم
يتوقعون أن إنتاج أدوية مضادة للألم خاصة
بجنس دون غيره مراعاة لهذا الاختلاف،
إنما هي مسألة وقت لا أكثر.

يعد الدكتور جيفري موغيل، وهو مدير مخبر
الألم الجيني في جامعة ماك غيل الكندية،
من كبار الداعين إلى التفرقة بين الجنسين
في مضادات الألم، وهو يقول: « اختر مرضاً
بشكل عشوائي، وادرس الألم الناتج عنه،
ستجد أن الجنسين يتفاعلان مع هذا الألم
بشكل مختلف ». إن هذا صحيح في مجال
الفئران على الأقل، حيث يطلب الدكتور
موغيل أن يتم إجراء فحص الاستجابة للألم
على كل فأر تجارب يستعمل لدراسة مرض
بشري ما، وكان الاستنتاج المتين للباحثين
أن الفئران الطبيعية والفئران المعالجة
جينياً بتبديان الاختلاف نفسه في تعامل
الجنسين مع الألم، كما لوحظ بأن أحد
الجنسين يبدي تفاعلاً أكبر مع الألم مقارنة
بنظيره.

بالعودة إلى البشر، نجد أن آخر مرض درس وجود هذه الظاهرة فيه هو مرض الشقيقة (الصداع النصفي)، وهو مرض يبلغ عدد المصابات به ثلاثة أمثال عدد المصابين، حيث قامت مجموعة من الباحثين في جامعة ليدن الهولندية يقودها الباحث مايكل فيراري بالكشف عن إنتاجها لأول فأر معالج جينيا ومخصصا لدراسة الشقيقة، وبما أن بعض الباحثين يعتقدون بأن مرض الشقيقة يرافقه زيادة التحسس للألم، فقد أرسل هذا الفأر إلى الدكتور موغيل ليجري فحوصه عليه. وقد أظهرت الأبحاث الأولية التي أجراها الدكتور موغيل أن عتبة الألم منخفضة عند هذا الفأر مقارنة بالفأر الطبيعي، ولكن هذه النتيجة منحصرة بالإناث (انخفاض عتبة الألم يعني أن الجسم يحتاج إلى مؤثر أخف من الطبيعي ليشعر بالألم).

إن الدكتور موغيل مقتنع حاليا بأن الاستجابة للألم تتدخل فيها دارات مختلفة بين الرجال والنساء، وهذه القناة ليست ناتجة عن أبحاثه الخاصة فحسب، حيث يدرك الأطباء المختصون في الأمراض النسائية والتوليد أن بعض الأدوية فعالة بشكل خاص على النساء، فعلى سبيل المثال، تفضل النساء استعمال النالبيوفين على استعمال المورفين، بينما الأمر معكوس عند الرجال.

يعتبر المورفين والنالبيوفين من الأدوية التي تمارس عملها في تحريض مستقبلات تنتمي إلى زمرة معينة تتدخل في عملية الإحساس بالألم في الدماغ، حيث يقوم

المورفين بتحريض المستقبلات من نوع (ميو)، ويقوم النالبيوفين بتحريض المستقبلات من نوع (كابا)، ويعتبر تحريض المستقبلات كابا غير ذي أهمية في تخفيف الألم عند الرجال.

قبل عامين من الآن، قام الدكتور موغيل بتحديد أول جين يتدخل في تعديل عتبة الإحساس بالألم عند النساء، وقد وجد أن اختلاف هذا الجين بين الأشخاص لا يؤثر على استجابة الرجال لدواء البنزازوسين الذي يعد من محرضات المستقبلات من نوع (كابا)، بينما يؤثر على استجابة النساء، كما وجد أن هذا الجين يتدخل أيضا في تحديد لون الشعر والجلد. وبالتعاون مع

الباحث روجر فيلينغيم من جامعة فلوريدا الأمريكية، اكتشف الدكتور موغيل أن النساء ذوات الشعر الأحمر والبشرة الشقراء يستجبن بشكل أكبر للبنزازوسين، حيث يمتلكن نسخة خاصة من مستقبلات (كابا).

كذلك، يعتقد الباحثان جون ليفين وروبرت غير من جامعة كاليفورنيا الأمريكية، أن هناك اختلافات أساسية بين الجنسين حينما يتعلق الأمر بالألم، حيث درسا تأثير استعمال دواء النالبيوفين في مرحلة ما بعد العمل الجراحي عند النساء والرجال الذين قلعت أسنان العقل لديهم، وقد وجدوا أن استعمال

* يعتقد الكثير من

العلماء أن الاختلاف

الجنيني يقدم جزءا

من تفسير ظاهرة

إحساس المرأة بالألم

أكثر من الرجل

* يعتقد العلماء

بأن الرجل والمرأة

لا يختلفان في

الإحساس بالألم كميًا

فحسب، وإنما كيفيا

أيضا

من التحمل نظرا لتركيزهن على الجانب العاطفي، إذ يرى الباحثون أن امتزاج الألم بالعاطفة، كالخوف والقلق، يولد نتيجة سلبية تضاقم الألم عوضا عن تخفيفه.

يرى الدكتور كيون، وهو مختص بالطب النفسي، أن هذا الفرق ناجم عن التكيف الاجتماعي، وهو يستعمل هذا الفرق كمثال على مخاطر الاستبعاد الاجتماعي لنوع من الجينات. لكنه من غير الواضح لماذا لا يتم تفسير هذا الفرق جينيا في الوقت الذي تطرح فيه القضية جينيا.

إن الفرضية التطورية حول قدرة الرجل على مقاومة الألم أكثر من المرأة لا تزال لغزا، فالألم موجود ليحمي الإنسان من أن يؤدي نفسه. وقد يكون السبب أن الرجل والمرأة يتعرض كل منهما لأنواع مختلفة من الألم، فالرجال، مثلا، يتشاجرون مع بعضهم أكثر من النساء، مما يعرضهم لجروح أكثر، بينما ليس عليهم أن يقاسوا آلام الولادة، وربما كان عجز النساء عن تحمل الألم كما الرجال، هو السبب الذي يشرح ظاهرة طول أعمار النساء مقارنة بالرجال.

عن الإيكونوميست

محرضات المستقبلات (كابا) لا يفضل في تخفيف آلام الرجال فحسب، بل هو يزيد من شدتها أيضا.

يرى الدكتور غير والدكتور ليضين أن الدماغ يحوي دارة لزيادة الألم إضافة إلى دارة تخفيف الألم، وهذه الدارات يتم تفعيلها بحسب جرعة الدواء ونوع المستقبل الذي يعرضه، حيث وجدوا في العينة السابقة أن الجرعات الصغيرة من النالبوفين تحدث تأثيرا مسكنا قصير الأمد عند النساء، بينما تحدث الجرعات نفسها زيادة كبيرة للألم عند الرجال. مع ذلك، عندما أضافا جرعة صغيرة من النالوكسون (وهو دواء يوقف تحريض كافة المستقبلات الحساسة للأدوية المورفينية)، كانت النتيجة زوال الفرق بين الجنسين في الإحساس بالألم وتسكينه بشكل كبير لدى الجميع، فقاما بتحديد النسبة الأكثر ملاءمة من مزيج هذين الدواءين، ونجحا في صنع مركب فعال لدى الجنسين.

ليس الفرق بين الجنسين كامنا في آلية الإحساس بالألم فحسب، بل في طريقة التعامل معه أيضا. هذا ما اكتشفه الدكتور كيو وزملاؤه، إذ أجروا دراسة على نزلاء أحد المشافي، بالإضافة إلى متطوعين قاموا بتعريضهم إلى مجموعة من المؤثرات المؤلمة كتغطيس الذراع في الماء والثلج مثلا، حيث استعمل الباحثون هذه الطريقة لمعرفة نقطة بداية الشعور بالألم ومقدار التحمل. كانت النتيجة أن الرجال استطاعوا تحمل الألم أكثر من خلال تركيزهم على الإحساس الجسدي، أما النساء فلم يتمكن

المرأة

خلاء أءوءا ءءاءا
!! ءءاءاءا !!



في قضايا المرأة وشؤونها دائما ما نذكر من الكتاب الحكيم الآية الكريمة: (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء) لتثبت أن المرأة متساوية مع الرجل في الخلق والنشئة والروح والنفس، ولننفي بذلك كل ما هو شائع في الأوساط الاجتماعية. وراسخ في جل الأذهان (الذكورية) بأنها في مرتبة أدنى من مرتبة الرجل، حيث يعتبرها بعضهم ضلعا قاصراً. وأنها ناقصة العقل والدين .

إن وحدة التكاليف الإلهية التي أمرنا الله سبحانه وتعالى تؤكد على أن المرأة في درجة واحدة مع الرجل في العقل والدين. فقد خاطب الله تعالى في أكثر من آية المرأة والرجل بخطاب واحد: (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون). إذ أن المرأة لو كانت (ناقصة الدين) ما كان الله سبحانه وتعالى ليأمرها بالصلاة والصوم والحج والزكاة والخمس والتقليد. وكما أمر الرجل، كم أنها لو كانت (ناقصة العقل) لما كانت تعاقب كما يعاقب الرجل بعقوبة واحدة في حال قيامهما بالجرم نفسه. حيث أمر الله في كتابه الحكيم: (السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) .

وعادة ما نرفع شعار المساواة بين الرجل والمرأة. مؤمنين بأنهما في مرتبة واحدة. ومسلمين بأن المجتمع لن ينهض ما لم تأخذ المرأة فيه دورها الفعال، لكن عندما نعود إلى واقعنا الاجتماعي نكون كمن قد عاد إلى زمن الجاهلية لكن بطرق جديدة، حيث الفوارق بين الرجل والمرأة. متجسدة في اللاوعي الرجولي المتمزمت على القاعدة الاجتماعية الشهيرة (أنت امرأة. وهو رجل). التي بها نكون قد كفرننا بكل ما قد

أعلننا عنه من أدلة وحجج دينية وعقلية تؤكد أن للمرأة حقوق كما للرجل، وأن لهن مثل الذي عليهن .

الغريب. أننا لو نسأل عن السبب في كل ذلك التناقض بين قيمنا وواقعنا الاجتماعي. سنجد أن التقاليد والعادات التي فرضناها على أنفسنا هي السبب في ذلك. فقد بنت هذه التقاليد والعادات بوجهنا (نحن النساء) سداً منيعاً يصنع حدوداً (متحجرة) أمام حياتنا الحقيقية وإشراقات وتطلعات طبيعتنا البشرية. لتجبرنا على التوقف عندها، متناسية عبر ذلك انسانية هذا الكائن (المرأة) الرقيق الذي يملأ الأرض جمالاً ورقة وحناناً ودفناً، لا شيء سوى أن مجتمعا يعتبر أن كل امرأة تتجراً على تخطي حدود التقاليد والعادات (منحرفة). لذا فعلى المرأة (في مثل هذه المجتمعات) أن تقبل بتلك العادات والأحكام والسلوكيات الجاهلة. وإن كانت بعيدة عن العقل والمنطق. بل ينبغي على المرأة أن تفخر بتلك (المرفوضات) لا شيء سوى أنها تراث الأجداد (قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وأنا على أثارهم لمهتدون). في الوقت الذي ذم الله سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم المدافعين تعصبا عن تقاليد وعادات الأجداد والآباء التي لا يقبلها الدين كما لا يقبلها العقل. وأيضاً (الضوابط الاجتماعية) التي لا تنسجم مع تطور الحياة المنتج للإنسان ارتقاء ذوقيا وفنيا وفكريا وسلوكيا فيرى من خلاله كثيراً من الأشياء والمشاعر والأفكار برؤية تختلف عما كان يراها الآباء والأجداد .

ومن أمثلة التناقض الاجتماعي. التعجب (انتقاصاً) من المرأة التي تريد دخول المقهى، علماً بأن المقهى لا يختلف كثيراً عن المطعم،

فكلاهما عبارة عن مكان مفتوح لمن يريد دخوله دون تمييز، لكن غاية الامر أن المقهى مختوم بقوة العادات والتقاليد الاجتماعية على أنه محرم على المرأة، وهذا اشبه ما يكون بـ(الحانة) في ايام الجاهلية حيث كانت تقتصر على الرجال فقط دون النساء، ومع اباحية الشرب لكنها كانت مباحة للرجل اكثر من المرأة.

وان تجرأت ورفعت صوتي، فأنني سأحدث عن المجتمع الذي يعتبر الفتاة التي لقيت ترحيبهم بأنها (صديقة) ولدهم. وفي نفس الوقت فإنها غير صالحة لأن تكون زوجته في المستقبل،

حيث الفتاة التي تقبل صداقة رجل غريب تكون بعيدة عن الشرع والقانون، لكن الذي يصادق امرأة ويمضي معها ليالي وأياما فهو رجل لا إشكال عليه، لا من جهة الشرع ولا الدين ولا الأخلاق، بل والأكثر من ذلك أن هناك من يسعد إذا ما وجد رجل بين صديقاته يلهو ويمرح دون حدود، وعندما يحين وقت تكوين أسرة (طيبة) نراه يبتعد عن جميع تلك الصديقات بحجة أنهم مما تبقى من ذكريات اللهو والمرح وایام الصبی. دون أن يكثرث بمصيرهن، تماماً كالسيد بين جواریه في أيام جاهلیة الدین والعقل والجمال، حيث لا أحد يحاسب السيد. وأن قتل



عذرية الفتيات وانسانية النساء :

وإذا تجرأت إحدى الصديقات فأخبرت أحداً عن ذنب ذاك الرجل، فإن أول عمل يقوم به سواء كان قريباً أو بعيداً هو إنزال اللوم على الفتاة لأنها قبلت صداقة ذاك الرجل، وأنها بذلك ابتعدت عن الطهارة والصفاء، لكن دون أن يلحقوا أي تأنيب بذات الذي أشبع غروره ومضى. فأين الذي يحمل المسؤولية الرجل مثلما قد حملها المرأة. وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: (الزانية والزاني فاجلدوا كل منهما ثمانين جلدة)، أم أن المجتمع أضعف من رسم الحدود للأقوياء ؟

وفي جانب آخر من التناقضات التي تعيشها مجتمعاتنا ... الرجل وبعد اختياره لزوجته، ويجد بعد حين أنها غير مناسبة أو أنها غير جديرة بكرمه وعيشه الرغيد، نراه يتجه

وبضمير مرتاح ونفس مطمئنة نحو أبغض الحلال عند الله سبحانه وتعالى، فيطلقها دون تردد لأنه يعلم بأنه لن يخسر شيئاً بأفضله هذه الكلمة مقارنة مع ما ستخسره المرأة في المجتمع، حيث أن كلمة (مطلقة) وحدها تكفي لأن يأخذ المجتمع لمحة سريعة عن حياة تلك المرأة التي تعرضت لهذه (المصيبة)، فيحملونها كل أنواع العجز والنقص دون أن يدركوا بأن السبب قد يكون من الرجل الذي أخطأ في اختياره، وإذا أحداً ما تجرأ فتقدم لطلب يد هذه المرأة المطلقة ترفع السيوف بوجهه ليبعدوه عن فعله المنكر (مجتمعيًا)، أما هذا الذي يسمى (مطلقاً) فإنه يتقدم إلى خطبة أي فتاة لتتعالى أهازيج الفرح بهذا الفارس المقدام الذي استطاع أن يخرج من معركته منتصراً سليماً، فخورين بأنهم استطاعوا كسب ثقة الرجل الذي تخلى



عن امرأة ما قديماً، دون أن يلتفت أحد إلى السؤال عن اسباب الطلاق ومسبباته، فيستمر الرجل في حياته بشكل طبيعي، في حين يلون المجتمع أيام وليالي المرأة المطلقة بالسواد وكأنها جاءت بفعل منكر، وما على المرأة غير الإستسلام إلى المجتمع القاهر والرضا التام لأحكامه الجائرة. والتسليم بأنها مكسورة الجناح، وإذا رفضت الإستسلام ونادت بحقوقها، وأكدت على أنها ما زالت (إنسان) حتى بعد طلاقها. فسيرميها (المجتمع) بأنها قد خرجت من دائرة الحياء!! فأى حياء يطلبه المجتمع من المرأة وهو لا يسمح بالمطالبة بالحقوق التي أقرتها الأديان والمجتمعات المتحررة من سلطة الرق الاجتماعي الذي يدفع بالإنسان (الرجل والمرأة) الى التخلي عن امتيازاته الإنسانية ومعطيات أحاسيسه ووجدانه ؟!

وإذا اكتنفت الفتاة برعاية الوالدين طلباً للعلم والشهادة الجامعية التي تنير العقل وتوفر ضماناً اقتصادية واجتماعية، لأنها ترى الدنيا مع الأهل والجامعة مليئة بالسعادة. ودون تدخل رجل ما، فتمضي حقبة طويلة في ذلك، يغلق المجتمع أبواب الزوجية في وجهها بحجة أن القطار قد فاتها وأنها غير صالحة لأن تكون زوجة وأماً، فلا يعطون بذلك قيمة للعلوم التي قضت سنوات في تعلمها أو الظروف التي كانت سبباً في عدم لحاقها بقطار الزوجية السريع. ودون أن يدركوا أنها أصبحت أكثر نضجاً وأكثر خبرة من التي ما أن تنفتح زهرة عمرها في كنف شمس الوالدين حتى تنتقل إلى بيت رجل آخر لتجبر على تحديد خطوط عالمها وحياتها ضمن مساحة صغيرة. لذا ينبغي عليها أن تكون راضية قانعة بما رسمته يد المجتمع والتقاليد

والعادات وبعد هذا غير مهم كيف لها أن تربي أطفالها! أو ما هو حجم المسؤولية الملقاة عليها ؟!

أما إذا بلغ الرجل ما بلغ من عمره فإنه يستطيع أن يوقف القطار السريع متى شاء وأينما شاء، فقط لأنه رجل، فيهللون ويكبرون لأن رجلاً قد أنتسب إلى أسرته، فأين المساواة بين هذا الرجل صاحب هذا الحظ العظيم من تلك المرأة المقهورة الحقوق في مجتمعنا ؟!

لقد نسي أو تناسى جل مجتمعاتنا أن المرأة بدرجة واحدة ومرتبة واحدة مع الرجل. وكما أن لها واجبات تجاه الرجل، لها حقوق على الرجل. قد فرضها الباري عز وجل، فليس من العقل، وليس من العدل أن يطلب من المرأة القيام بالواجبات دون أن تأخذ حقوقها، لذا على المجتمع (الذكوري) أن يبتعد عن ظلم المرأة فيظلم نفسه، وأن لا يدخل في دائرة اللامبالاة، وأن يتذكر أن المجتمع من غير المرأة لن يستطيع الاستمرار في الحياة، مهما بلغ المجتمع أو الرجال من قوة وعلم.

على المجتمع الذي يريد أن يحافظ على إنسانيته ويحترم قيمه ووجوده أن لا ينتهز ضعف المرأة وغلبة عاطفتها، فيخسر المجتمع نفسه، إنما عليه مساعدة المرأة على تجاوز طريق الخلاص من العبودية والظلم والعجز الذي وضعت فيه. فالمرأة نصف المجتمع، فأن ظلت طريقها إلى النور جرت معها النصف الآخر إلى الظلمة، فاتقوا ربكم فيها .

من الصحافة



«تضامن» مع الخادمات الآسيويات



بناتنا
وبناتهم



والهاتف واراها كل سنة مرة، يظل من المستحيل ان اتأقلم وغربتهما. فربما معاناه غربتي وغربتهما تحرك مشاعري عندما اتعاطى وشأن عاملات المنازل الاجانب. لكن يبقى انه من الصعب قبول تناقضات مجتمعنا اللبناني الذي لا يسمح للابنة ان تمضي ليلة في بيت صديقتها اذا كان في هذا البيت رجل ولا يسمح للابنة المثقفة، العاملة، المستقلة مادياً ان تقطن بيتاً بمفردها، ولكن يؤتى بالمرأة الغريبة وتدخل اي بيت من بيوت الناس والرجال فيها، فتنام في غرفة لا مفتاح لها ولا يمكن اقفالها. ما الفرق بين بناتنا وبنات الغريب؟ هل نحن افضل من كل شعوب آسيا وافريقيا؟ وهل ما نخشى منه لبناتنا نرضى به لبناتهم؟ وما الذي يتعلمه اطفالنا من كل هذا؟

«النهار»

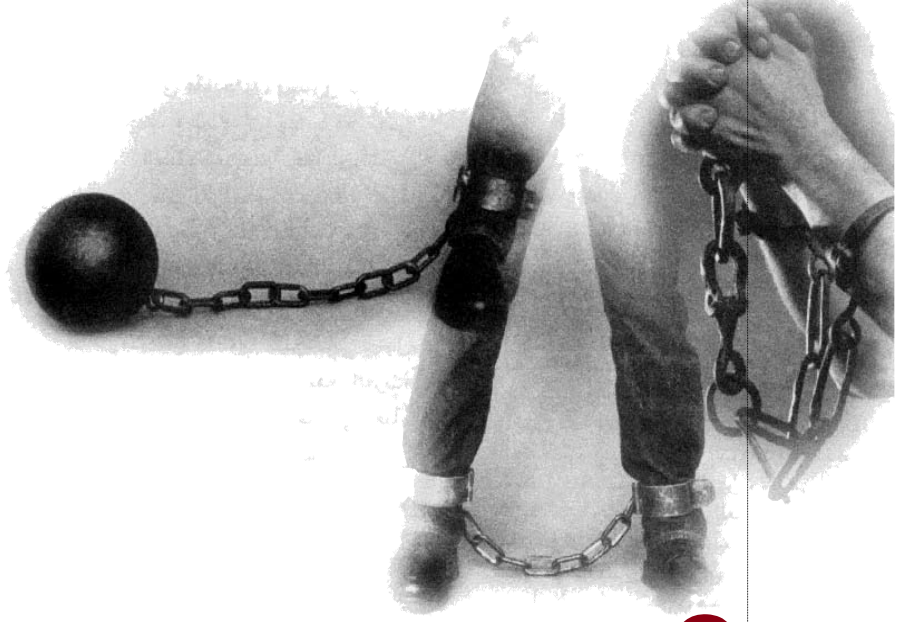
الاحد 28 أيار 2006

كانت ابنتي سامية في الخامسة عشرة من عمرها عندما كتبت وقدمت لمجلة مدرستها قصة خيالية ارادت منها لفت انظار التلامذة لمعاناه العاملات في منازلهم. فأخبرت عما كاد ان يحصل لو لم تنته الحروب المدمرة في لبنان فيدب الفقر في جميع انحاء البلاد ويأتي اناس بلا ضمير يفزون الصبايا والامهات للسفر والعمل كخادمات منازل في بلاد اليابان متحدثين عن ثراء المجتمع الياباني وحسن اخلاق اليابانيين وكرمهم، واعدينهن بأجور سوف تحقق كل الاحلام. تخيلت سامية نفسها تصل الى مطار طوكيو وتفرق عن رفيقاتها اللبنانيات ويؤخذ جواز سفرها وتصل الى بيت رب عملها. رأت نفسها سجينه في بيت اناس يقفلون الباب عليها. ولا تفهم شيئاً مما يقولون لها باليابانية، والطعام غريب جداً لا يمكنها تحمل نكهته. لها غرفة نوم صغيرة للغاية تمضي فيها الليل قلقة لأن لا مفتاح لقفل بابها، وهناك رجلان في البيت: رب المنزل والابن الشاب. تجهل كيفية استعمال الهاتف لمكالمتنا الى لبنان وتجهل حتى رقم الهاتف لتبعث به اليها. تكتب الرسائل ولا تعلم اذا كانت سترسل.

لم تنشر القصة ولم يعط سبب عدم نشرها، مع أن كاتبتهما كانت من اوائل تلامذة صفها.

امضيت عشر سنين في الغربة التي فرضتها الحروب على العديد من اللبنانيين، واليوم ولداي الاثنان في المهجر وقلبي عليهما كقلب كل اهل المغتربين على اولادهم. ومع اني مطمئنة البال على كيفية عيشهم وانا في اتصال دائم بهما عبر الانترنت





مع

مع وضد

عقوبة

السجن

إنه لأمر مدهش ذلك التعقيم الذي يضفيه خبراء الجريمة على البيانات التي تبين الفائدة الاجتماعية والتأثير الفعال الناجمة عن آلية الحد من الجرائم المدعومة بعقوبة السجن.

فعلى سبيل المثال، يستمر العديد من الخبراء والمعلقين (الذين يفترض أنهم يعلمون الحقيقة أكثر من غيرهم) في التأكيد على أن أعداد السجناء المتزايدة دليل على الفشل بسبب عدم ترافق ذلك مع انخفاض مباشر في معدلات الجريمة. لكن من يدعي ذلك





ثانيها - الردع، فسجن (عمرو) قد يردعه، وقد يردع (سعدا)، وقد يردعهما كليهما عن ارتكاب أي جريمة في المستقبل.

ثالثها - إعادة التأهيل، فبينما يقضي (عمرو) وقته خلف القضبان، قد يتبع برنامج معالجة من الإدمان على المخدرات أو أي برنامج آخر يقلص فرص عودته إلى الجريمة بعد خروجه من السجن.

رابعها - التعطيل، ففي زنزانته، لا يستطيع (عمرو) أن يرتكب جريمة ضد أي أحد.

في الوقت الراهن، من الصعب قياس قيمة الفوائد الثلاث الأولى، بينما يمكن ذلك بالنسبة للفائدة الرابعة، وهي التعطيل. إذ يمكن للمرء أن يقدر كم جريمة خطره أمكن تجنبها كل عام من خلال إبقاء هؤلاء المجرمين خلف القضبان، مقارنة بالوضع الذي سيكون عليه المجتمع فيما لو كان هؤلاء أحراراً يتجولون في الشوارع بملء إرادتهم.

وبالاعتماد على أكبر استطلاعين أجريا داخل السجون (في ولاية ويسكونسين عام 1990، وولاية نيوجيرسي عام 1993) وقام بهما معهد بروكينز، تبين أن السجناء اقترفوا ما معدله 12 جريمة في العام السابق لاحتجازهم، وذلك دون احتساب جرائم المخدرات. كما تقدم الدراسات الأحدث تقديرات أعلى، حيث يشير ستيفن ليفي إلى أنه مقابل كل سجين إضافي يدخل إلى السجن ينخفض عدد الجرائم بمعدل 13 جريمة سنوياً، وهو رقم يقترب مما أقر به السجناء في الاستطلاع السابق. وبشكل مماثل، يرى تقرير آخر وضعه الباحثان توماس مارفيل وكارليس مودي أنه في السبعينات والثمانينات من القرن الماضي،

هو أول من ينبري إلى القبول بقضية أخرى: هي أن معدلات الجريمة تتبع لمعادلة معقدة تتدخل فيها عوامل عدة (كالعامل الديموغرافي) دون أن يكون للجهاز القضائي - مهما فعل - سوى سلطة بسيطة عليها. وقد عبر عن ذلك الخبير الاقتصادي ستيفن ليفي الخبير في المكتب الوطني للبحوث الاقتصادية قائلاً: «مهما ازداد مدى السوء الذي تصل إليه العوامل المضمرة للإجرام مع مرور الوقت، فأن ازدياد اللجوء إلى السجون كحل، يؤدي ببساطة إلى ستر ارتفاع معدل النشاط الإجرامي».

ولتوضيح هذه النقطة، نقول: لا نحتاج إلى شهادة دكتوراه في علم الجريمة لنشك في أنه إذا ما تم إطلاق نصف عدد السجناء اليوم فسنشهد غدا جرائم أكثر.

إن هذا الإحساس العام حول هذه النقطة (بأنه من الواضح جداً أن السجون تردع المجرمين المحكومين عن القيام بعدد كبير من الجرائم التي كانوا سيقومون بها فيما لو كانوا أحراراً) لا يدعمه فحسب البيانات العملية حول الجرائم التي يقوم بها مجرمون محكومون لكنهم خارج السجن، بل يعضده ذلك عدد من الدراسات التي تقدر ما يمكن أن يتسبب به المجرم السائب قبل أن تقبض عليه العدالة.

أربعة وجوه لفوائد عقوبة السجن

قبل كل شيء يجب أن نلاحظ أن عقوبة السجن تقدم لنا على الأقل أربعة أنواع من الفوائد الاجتماعية:

أولها - إنزال القصاص العادل، فسجن (عمرو) يعاقبه ويبدي رغبة المجتمع في تحقيق العدالة.



فريسته
القادمة؟

لقد أشارت دراسة أجريت عام 1992 حول تكاليف الجريمة التي يدفعها الضحايا إلى أن 71% من مجموع الجرائم الفردية (كالاعتداء، والسلب، والاعتداء الجسدي) قد حدث فيها أذى ذو طبيعة اقتصادية، كما حدث نفس الأذى في 23% من جرائم العنف. وقدرت الدراسة مجموع الخسائر المباشرة الناتجة عن هذه الجرائم بحوالي 12.7 بليون دولار على شكل ممتلكات مسروقة أو مدمرة، ومبالغ نقدية، ونفقات طبية، وخسائر فقدان الوظيفة، الخ. على أن هذا التقدير لا يتضمن الخسائر المباشرة التي تحصل بعد أول ستة أشهر من حدوث الجريمة كما هو الحال في النفقات الطبية، ولا يتضمن كذلك الخسائر الناتجة عن انخفاض إنتاجية العمل، والألم والمعاناة العاطفية، وارتفاع نفقات التأمين، ونفقات الانتقال، وما إلى ذلك من خسائر غير

كان احتجاز
كل سجين
يؤدي إلى
نقص عدد
الجرائم
بمعدل
17 جريمة،
ولاً سبب
عديدة، يبدو
أن التأثير الحقيقي
أكبر إلى حد ما، حيث قد
يصل العدد في المستقبل
إلى 21 جريمة.

تكاليف الجريمة

يتكلف المجتمع الأمريكي حوالي 25.000 دولار سنوياً عن كل مجرم يدخل السجن درءاً لمشاكله. كذلك، يؤدي الإنفاق على مجال ما إلى نقصان الإنفاق في مجال آخر؛ فمثلاً: كل دولار من الضرائب ينفق على السجن يؤدي إلى ضياع دولار من مشاريع رياض الأطفال، والعكس بالعكس. لكن ينبغي التفكير في نفس الوقت بالكلفة التي يدفعها ضحايا الجرائم، وأسرهم، وأصدقائهم، وموظفهم، وبقية أفراد المجتمع جراء ترك المجرم المدان طليقاً يجول في الشوارع بحثاً عن

يتمثل الحل في احتجاز كل

مجرم مدان، أو على الأقل،

احتجاز كل مجرم عنيف

مدان، مدة طويلة من حياته،

أو حتى حياته بأكملها



ملايين دولار نتيجة انخفاض دخله ونفقات علاجه خلال الأعوام الخمسة والثلاثين التالية للإصابة.

وهنا يبرز سؤال: ما هو حجم التكاليف التي يمكن تجنبها عند احتجاز المجرمين معظم عمرهم أو كله؟

وتجيب على ذلك دراسة أجراها المعهد الوطني للقضاء، حيث وجدت أن التقدير الأدنى للفائدة المترتبة على إنشاء زنزانة إضافية في السجن سنويا هو 172,000 دولار، وهو أكثر من ضعف الرقم الناتج عن التقدير الأقصى للفائدة المترتبة على إعادة الاستفادة من الزنزانة (70,000 دولار). وعلى نحو مواز، أجرى معهد بروكجز دراستين؛ تبين في الأولى أن احتجاز مئة مجرم يكلف 2.5 مليون دولار، أما تركهم طلقاء فيكلف 4.6 مليون دولار. أما الدراسة الثانية فأشارت إلى أن كل دولار ينفق على إبقاء مجرم خلف القضبان يوفر 2.8 دولار من النفقات المترتبة على معالجة الآثار الاجتماعية

من يدخل السجن هذه الأيام

هم المجرمون الأكثر خطرا،

والذين لا تقتصر جرائمهم

على ما سجل في ملفاتهم،

حيث ارتكبوا العديد من

الجرائم التي لم تكتشف،

فلهم يصدر حكم فيها، ولهذا

لم يعاقبوا عليها

مباشرة.

كما قامت دراسة أخرى بالبحث عن الخسائر المباشرة للجرائم بطريقة أكثر شمولية فضمت إليها الخسائر غير المباشرة على حد سواء، فقدرت الكلفة المالية المترتبة في عام 1987 لتغيير نمط الحياة جراء الوفاة أو الإصابات النفسية والجسدية غير القاتلة الناتجة عن جرائم العنف. وباستعمال معادلات متنوعة استنتجت الدراسة التكاليف التالية:

جريمة القتل: 2.4 مليون دولار، جريمة الاغتصاب: 60 ألف دولار، جريمة الحريق المتعمد: 50 ألف دولار، جريمة الاعتداء الجسدي: 25 ألف دولار، جريمة السلب: 19 ألف دولار. كما قدرت الدراسة أن التكاليف التي تستمر مدى الحياة بلغت 178 مليون دولار بين عامي 1987-1990.

وعلاوة على ذلك، فإن خسائر أخرى لم تتضمنها الدراستان السابقتان بما أنهما كانتا متخصصتين في الجريمة ومكان حدوثها. فعلى سبيل المثال: يكشف استعراض سجلات المستشفيات في ولاية ويسكونسين المتعلقة بفترة 41 شهرا عن 1,036 شخصا راجعوا هذه المستشفيات لإصابتهم بأطلاق نار، وقد بلغت الفاتورة الإجمالية لمعالجة هؤلاء 16 مليون دولار جاء 6.8 مليون دولار منها عن طريق الضرائب. كما تبلغ التكاليف غير المباشرة حدا أبعد من ذلك، فكل واحد من هؤلاء المصابين يؤدي إلى خسائر تتعدى 5

الناجمة عن الجرائم.

عقوبة السجن كقصاص

ينبغي الإشارة إلى أن الدراسات السابقة تقيس الفوائد الاجتماعية من منظور الفائدة التعطيلية لا غير، بينما توجد الكثير من الأسباب إلى الافتراض بأن الفوائد الأخرى (القصاص، الردع، إعادة التأهيل) ليست منعدمة القيمة، وقيمتها تضاف إلى مجمل فوائد عقوبة السجن التي نبخسها الكثير من حقها إن قصرناها على الفائدة التعطيلية، فإذا افترضنا بأن السجن نجح في تعطيل القدرات الإجرامية عند أحد السجناء، فلا بد أنه سينجح في تحقيق الفوائد الثلاث الأخرى عند بعض السجناء وفي ظروف معينة. وبالتالي، فإن تقدير فوائد عقوبة السجن عندما يخرج بنتيجة إيجابية من منظور التعطيل وحده، فإن ذلك يعني أن القيمة الاجتماعية الحقيقية لعقوبة السجن هي أكثر من ذلك وأن السجن يعطي نتاجا جيدا مقابل ما يصرف عليه من أموال.

ومن يطلب دليلا إضافيا على ذلك نحيله إلى

يتمثل الحل في احتجاز

كل مجرم مدان، أو على

الأقل، احتجاز كل مجرم

عنيف مدان، مدة طويلة

من حياته، أو حتى حياته

بأكملها

المقارنة بين معدلات الجريمة عام 1989 ومثيلاتها عام 1973؛ حيث انخفض عدد الجرائم بين السنتين بمقدار: 66.000 حالة اغتصاب، 323.000 حالة سلب، 380.000 حالة اعتداء جسدي، 3.3 مليون حالة سرقة منزل (تم في هذه المقارنة أخذ اختلاف عدد السكان بين السنتين بعين الاعتبار). فإذا كان نصف أو ربع هذا الانخفاض ناتجا عن ارتفاع معدلات الحكم بالسجن، «فإن ذلك يعني أن السجن مسؤول عن هذا الانخفاض الكبير في عدد الجرائم» كما يقول باتريك لانغان، والذي يرى بأن تضاعف أعداد السجناء إلى ثلاثة أمثال في الفترة 1975-1989 «ربما أدى إلى انخفاض معدلات جرائم العنف المسجلة وغير المسجلة بمقدار 10-15% أقل مما كانت عليه، مما قد يدفعنا لطرح تقدير مقبول بأن ذلك قد منع حدوث 390.000 جريمة قتل واغتصاب وسلب واعتداء جسدي في عام 1989 لوحده».

ينبغي التنبيه إلى أن السجن ليست مكانا

من يدخل السجن هذه الأيام

هم المجرمون الأكثر خطرا،

والذين لا تقتصر جرائمهم

على ما سجل في ملفاتهم،

حيث ارتكبوا العديد من

الجرائم التي لم تكتشف،

فلم يصدر حكم فيها، ولهذا

لم يعاقبوا عليها



خلال الفترة ذاتها. وإذا قارنا الوضع بولاية

ن التشدد في معاملة العدد

الصغير نسبيا من المجرمين

العنفين المسجونين يفعل

فعله نوعا ما في كبح

جماع العدد الأكبر (والأكثر

شبابا واندفاعا وعنادا) من

المجرمين العنفين الذين

يتواجدون خارج السجون

بنسلفانيا نجد أن هذه الولاية تزداد فيها نفقات السجون بشكل أبطأ كثيرا. وبشكل عام، فإن الشعب الأمريكي يدفع بنسا من كل دولار ضريبي إلى جهاز السجون، ومن هنا فإنه بينما يبحث الأمريكيون وقادتهم عن سياسة تتعامل بكفاءة مع مسألة التكاليف والفوائد الاجتماعية لعقوبة السجن مقابل خيارات العقوبات الأخرى، فإن دارسي هذا المجال سينقبون عميقا أكثر مما فعل خبراء الجريمة من أجل الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بالتمويل العام للأجهزة المختصة بالجريمة والعقاب.

ولحد الآن، يكفي ذلك الدليل التجريبي الحاسم الذي عبر عنه الكاتب الصحفي بن واتنبرغ قائلا: « سراح في السجن لا يستطيع أن يقتل أختك ».

احتجاز المجرمين العنفين

بالمحصلة، تكون الحقيقة ببساطة هي أنه بالنظر إلى ملايين الجرائم - بما فيها العنيفة - التي ترتكب في أمريكا سنويا، نجد

لتوفير النفقات على المجتمع فحسب، فهناك تكاليف مستترة تستدعيها عقوبة السجن كنقص إنتاجية السجين واستعداده للعمل، كما تؤدي أحكام السجن مدى الحياة إلى وجود طبقة من العجائز غير المؤذين والذين يستوجب إنفاق المال على رعايتهم الصحية، كذلك، قد يدخل السجن أشخاص ذوي سجل وظيفي ضعيف وقدره مالية منخفضة ولا يمكنهم سوى الاعتماد على الحكومة من أجل توفير الرعاية الصحية لهم سواء أكانوا داخل السجن أم خارجه. إضافة إلى بعض السجناء العجائز الذين نبقىهم في السجن لا لسبب سوى الرغبة المجردة في ذلك.

أيضا، نحن نعلم أن السجون مكلفة، لكننا لا نعلم سر التفاوت الكبير في تكاليف السجون الواحد بين سجن وآخر، ولماذا ترتفع نفقات سجن ما بشكل كبير بينما لا يحدث ذلك في سجن آخر، كما لا نعلم أي سجن تتوفر فيه فرص الإنجاز الكفوء اعتمادا على هذه النفقات. فعلى سبيل المثال: ارتفعت تكاليف السجون في ولاية تكساس من 91 مليون دولار عام 1980 إلى 1.84 مليون دولار عام 1994، أي ازداد المبلغ إلى أكثر من عشرة أمثاله بينما لم يزد عدد السجناء عن الضعف

ليس الحل في جعل ظروف

الحياة في السجن قاسية

أو غير إنسانية وفق سياسة

«لا لسجون الرفاهية» التي

لا تتفق مع سياسة «الباب

الحوار»

لا نحتاج إلى شهادة

دكتوراه في علم

الجريمة لنشك في

أنه إذا ما تم إطلاق

نصف عدد السجناء

اليوم فسنشهد غدا

جرائم أكثر

إن مشكلة اكتظاظ السجون حقيقية لكنها مبالغ بها، حيث يتمتع معظم السجناء بالكثير من وسائل التسلية والخدمات خلف القضبان.

إن الشعب الأمريكي يدفع ثمننا كبيرا، إنسانيا وماليا، بسبب فشل سياسة الحكومة في الحد من الجرائم العنيفة التي تستهدف الكبار والصغار على حد سواء. فالواقع الديمغرافي الحالي للجريمة في الولايات المتحدة الأمريكية يخبئ ازديادا في معدلات الجريمة ما لم تغير الحكومة سياستها في هذا الشأن. حيث نرى حاليا تزايد عدد الجرائم التي يقوم بها المجرمون الذين يطلق سراحهم بوضعهم قيد المراقبة أو بإطلاق سراح مشروط أو بإطلاق سراح ما قبل المحاكمة، حيث يرتكبون

الجرائم، بما فيها آلاف جرائم القتل. كما يقوم

المجرمون المعروفون الذين لم يحتجزوا

أن الجهاز القضائي لا يسجن إلا جزءا صغيرا منهم، بما فيهم جزءا صغيرا من المجرمين العنيفين. ودون أن نتفاجأ، فإن ذلك يعني أن من يدخل السجن هذه الأيام هم المجرمون الأكثر خطرا، والذين لا تقتصر جرائمهم على ما سجل في ملفاتهم، حيث ارتكبوا العديد من الجرائم التي لم تكتشف، فلم يصدر حكم فيها، ولهذا لم يعاقبوا عليها.

إذا دخلت قسم السجلات في أي سجن وتصفححت سجلات معظم السجناء غير العنيفين، ومعظم منتهكي شروط إطلاق السراح المشروط، والعديد من مرتكبي جرائم المخدرات الصغيرة، فستجد أن كلهم يحملون تاريخا إجراميا يمتد إلى سنوات خلت، وستجد أن معظم هذه السجلات يجوي جرائم غير التي عوقب السجناء جراء ارتكابها.

وبالإضافة إلى ذلك ستجد أن أكثر السجناء - بمن فيهم أشدهم عنفا - يقضون مدة قصيرة نسبيا خلف القضبان قبل أن يتم إطلاق سراحهم، كما تعتبر شروط احتجاز كل السجناء تقريبا مراعية للدواعي الإنسانية بشكل كامل.

يمكن للمرء أن

يقدر كم جريمة

خطرة أمكن

تجنبها كل عام

من خلال إبقاء

المجرمين خلف

القضبان

الصغير نسبيا من المجرمين العنيفين المسجونين يفعل فعله نوعا ما في كبح جماح العدد الأكبر (والأكثر شبابا واندفاعا وعنادا) من المجرمين العنيفين الذين يتواجدون خارج السجون.

نحو جهاز قضائي جنائي أكثر تأثيرا

كذلك، يتمثل رأينا في أن الولايات المتحدة الأمريكية ينبغي عليها أن تضع خلف القضبان كمية أكبر من المجرمين العنيفين والمعاودين، شييا وشبابا، ولمدد أطول، من أجل إظهار مصداقية الأحكام وأن ما تحويه كتب القانون ليس حبرا على ورق إنما هو واقع ينفذ بشكل تام ودقيق.

كما يجب إعادة هيكلة مؤسسات الإشراف على من يطلق سراحه بشكل مشروط أو يوضع تحت المراقبة من أجل مراقبة تحركاتهم وتطبيق القانون وتعزيز الأمن العام. فإذا ما كان النظام القضائي يعمل بشكل فعال ضمن المصلحة العامة فإن تحدي احتجاز المجرمين العنيفين، شييا وشبابا، سيكون مهمة يكافح من أجل تحقيقها كافة مستويات الحكومة.

من الجدير بالأمريكيين أن يدخلوا في حوار صادق وواقعي حول مسألة احتجاز المجرمين العنيفين، شييا وشبابا. وقبل أن يجري حوار كهذا ينبغي أن لا تتقبل النخب الاجتماعية فكرة رفض أو الحط من شأن الرغبة الشرعية العامة في تقليص أو إيقاف سياسة «الباب الدوار».

ففي ستينيات وسبعينات القرن الماضي كان ناشطو حقوق السجناء ومنظرو فكرة إلغاء السجون يدعون إلى إيقاف عقوبة السجن تحت شعار «اهدموا جدران السجون»، واليوم يسعى الكثير من هؤلاء ومعهم

إذا ما كان النظام

القضائي يعمل بشكل

فعال ضمن المصلحة

العامة فإن تحدي احتجاز

المجرمين العنيفين، شييا

وشبابا، سيكون مهمة

يكافح من أجل تحقيقها

كافة مستويات الحكومة

بعد بارتكاب ثلث العدد الإجمالي الجرائم في الولايات المتحدة الأمريكية.

في منظورنا، يتمثل الحل في احتجاز كل مجرم مدان، أو على الأقل، احتجاز كل مجرم عنيف مدان، مدد طويلة من حياته، أو حتى حياته بأكملها. وليس الحل في جعل ظروف الحياة في السجن قاسية أو غير إنسانية وفق سياسة «لا لسجون الرفاهية» التي لا تتفق مع سياسة «الباب الدوار» (مع أن السجون المتشددة ذات الظروف الإنسانية تملك تأثيرا رادعا).

إن التشدد في معاملة العدد



حقيقة سياسة « الباب

الدوار » وما تفعله في

السجون هو أمر لا يبعث

على الراحة، لكن تفهم

هذه الحقيقة والعمل

على أساسها سيتمنع

إطلاق سراح المزيد

من السجناء الخطرين

والمعاودين

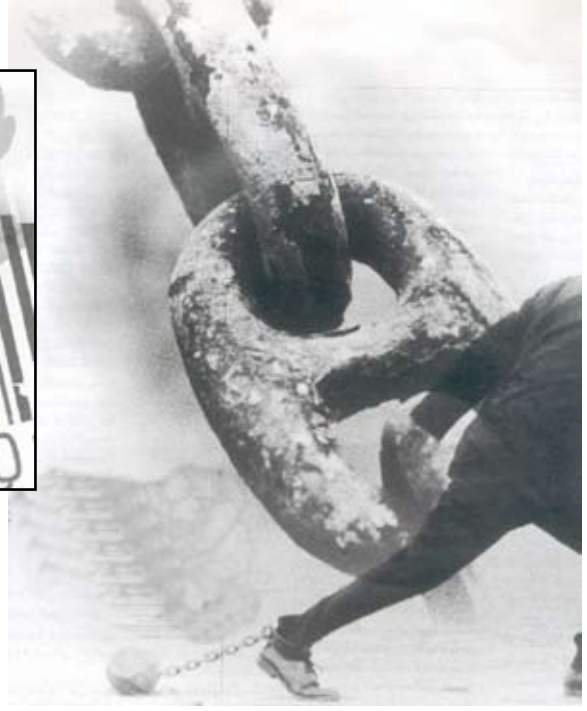
مرتكبي جرائم المخدرات البسيطة، يجب أن يخبرونا وبدقة: من هو مرتكب جرائم المخدرات البسيطة؟ فمن بين 241,709 حكم قضائي بالسجن صادر عام 1991 في 35 ولاية أمريكية، كان ثمة 74,423 حكم قضائي (30%) متعلق بانتهاك قانون المخدرات: 16,632 منها حالات حيازة مخدرات والباقي (55,791) حالات تهريب وما إلى ذلك. ومن بين 36,648 حكم فدرالي بالسجن عام 1991 كان ثمة 14,564 حكم قضائي (42%) متعلق بانتهاك قانون المخدرات: 703 أحكام (2%) منها متعلق بحيازة مخدرات والباقي (13,861) قضايا تهريب وما إليها.

إن معظم مهربي المخدرات المسجونين، نادرا ما يكونون ممن مارس التهريب لأول مرة أو لفترة قصيرة، والكثير منهم تزخر ملفاتهم بجرائم عنف واعتداء بالإضافة إلى جرائم المخدرات. يذكر أن معدل كميات المخدرات المهربة في الجرائم الفدرالية يبلغ 83 كغ من الكوكائين، و3.5 طن من الماريجوانا.

إن حقيقة سياسة « الباب الدوار » وما تفعله في السجون هو أمر لا يبعث على الراحة، لكن تفهم هذه الحقيقة والعمل على أساسها سيتمنع إطلاق سراح المزيد من السجناء الخطرين والمعاودين، وستعيد الثقة التي يوليها الشعب للنظام القضائي، وبمرور الوقت، تعود الثقة بالحكومة بنفسها.

مجموعة من الإعلاميين - سرا، ونادرا ما يكون ذلك جهرا - إلى محاربة القوانين التي تنص على عقوبة السجن، وهم ينشرون ويروجون قضية الآثار الاجتماعية لعقوبة السجن بينما يغضون أسماعهم عن فوائدها الاجتماعية المهمة، وقد كونوا مجموعة ضغط من أجل زيادة قدرة القضاء المؤيدين لهم على وضع حدود تسمح بأطلاق المجرم في ما بعد. بعبارة موجزة: إنهم ينجزون من خلال التحليل العلمي الزائف والاجتهادات الإدارية والأوامر القضائية ما لا يمكن إنجازه من خلال الحوار الديمقراطي والعمل التشريعي.

في رأينا، أن أقل ما يمكن أن يواجه به هؤلاء الذين يتجاهلون حقائق الجريمة والعقاب في أمريكا: هو أن تتم مساءلتهم من قبل الصحافة ومتخذي القرارات وعامة الناس من أجل تحديد موقفهم. فعلى سبيل المثال: هؤلاء الذي يستمرون على إصرارهم بأنه ينبغي على السلطات أن تكف عن سجن



مع وض

ضد

عقوبة

السجن

اعداد وترجمة / د. علي الحارس

في عام 1980، بدأت الولايات المتحدة الأمريكية بأكبر وأشرس عملية تصحيح لوضع أي بلد من بلدان العالم وعلى مر العصور. ومنذ ذلك العام تضاعف عدد السجناء ثلاث مرات ليبلغ 1.5 مليون، وبالنسبة لبعض الأقليات، فقد تضاعف عدد المسجونين من أبنائها عشر مرات خلال هذه الفترة. كذلك، تحتوي رفوف مراكز الشرطة على 50 مليون ملف للجرائم المرتكبة. أي حوالي خمس عدد السكان.، وينفق دافعو الضرائب مئات البلايين من الدولارات على منشآت تنفيذ العقوبات والأعمال المتعلقة بها، بالإضافة إلى عدة ملايين من العاملين في أجهزة القضاء الجنائي.



إن الجانب المظلم من عملية نمو أجهزة القضاء الجنائي يمثل في تأثيره المباشر على تخفيض حجم التمويل المخصص للتعليم والحدائق والمكتبات ومراكز الترفيه والطرق السريعة والجامعات. وبالنظر إلى النسبة الكبيرة للقوة البشرية العاملة من الذكور الذين يقضون أحكاما بالسجن، فإن معدلات حالات الاحتجاز القضائي العالية تلعب دورا في إبطاء عجلة النمو الاقتصادي، حيث تشير إحدى التقديرات إلى أنه لو تمت إضافة هذه القوة العاملة المسجونة إلى إحصائيات البطالة فإن معدلها سيرتفع من 5.9 إلى 7.5.

قد يعتقد البعض بأن التوسع غير الطبيعي لجهاز القضاء الجنائي قد أدى إلى إحداث انخفاض بسيط في معدل الجريمة على الأقل. لكن الواقع ليس كذلك، حيث لم تؤد الأعداد المتزايدة للسجناء إلى خفض معدل الجريمة أو زيادة إحساس الأمريكيين بالأمن. وفي الحقيقة، يرى بعض المختصين في علم الجريمة بأن الاستخدام المضطرب للعقوبات تجاه الكثير من مرتكبي الجرائم البسيطة قد أدى في الواقع إلى حدوث جرائم أكثر مما منع. وهذه الفرضية ستكون محور النقاش في ما يلي.

الأمريكيون السود في الجهاز القضائي الجنائي

ثمة أزمة عنصرية ناتجة عن التمايز الكارثي تتكشف في جهاز القضاء الجنائي، فالتمييز العنصري يبدو من خلال مقارنة أعداد نزلاء السجون من السود والبيض، إذ يبلغ عدد السجناء السود أكثر من ستة أضعاف أمثالهم من البيض (1947 سجين مقابل كل مئة ألف مواطن أسود، مقارنة





بـ 306 سجناء مقابل كل مئة ألف مواطن أبيض).

إن هذا التباين يعود إلى سببين هما: ازدياد معدلات اعتقال السود مقارنة بالبيض انطلاقاً من الاعتقاد بأنهم أكثر ميلاً إلى ارتكاب الجرائم، ومعاملتهم بقسوة أثناء تطبيق إجراءات جهاز القضاء الجنائي. وعلى الرغم من أنه لا يزال صحيحاً أن البيض يرتكبون القسم الأكبر من الجرائم التي تحدث في أنحاء البلاد، فإنه يجب التذكير بأنه في الكثير من المدن يخضع ثلث الشباب السود الذين تتفاوت أعمارهم بين 18 و 34 إلى مراقبة جهاز القضاء الجنائي، وذلك إذا لم يكونوا سجناء، أو تم تعليق عقوبتهم، أو خرجوا بأطلاق سراح مشروط، أو ينتظرون محاكمتهم.

تأثيرات السجن

إن إرسال هذا العدد الكبير من الناس إلى السجون كل عام له الكثير من العواقب. وكل من ألقى القبض عليه يعرف كم أصابته هذه التجربة بالإذلال في الصميم، وما عليك إلا أن تتخيل تأثير إمضاء ليلة واحدة فقط في الأوساط المرعبة والعنيفة في السجون.

إن التقارير القادمة من هناك تحتوي أمثلة كثيرة عن أشخاص خرجوا من تجربة السجن بذكريات أليمة، حيث تبدأ مسيرة السجن بأخذ البصمات والصور لوضعها في سجل المجرمين، وهذا السجل يظل وصمة في تاريخ السجين حتى وإن ظهرت براءته في ما بعد، ثم تستلزم الإقامة في السجن أن يتبع السجين استراتيجيات النجاة وإن كانت فترة سجنه قصيرة، كأن يتعلم المبادأة بالاعتداء والانضمام إلى عصابات تحوي



تحويله إلى وضع مخيف يدفع الناس عن التصرف السيئ.

ويرى الخبراء في أحوال الأحياء الفقيرة أن الشباب هناك لا يأبهون إن حكم عليهم بالسجن لأنهم يعتبرون ذلك إجراء فائنا يؤهلهم لكسب الاحترام والمنزلة الرفيعة. وقد نشرت جريدة نيويورك تايمز وصفا لحادثة حصلت في الجانب الجنوبي من مدينة شيكاغو، حيث أحاط الجيران بسجين سابق عاد إلى بيته « وكأنه نجم من نجوم موسيقى الراب يوزع بطاقات حفلاته ». وتابعوه خلال سيره في الشوارع، وأبدوا إعجابهم بالوشم الذي حصل عليه في السجن والعضلات التي أنماها في مركز رفع الأثقال التابع للسجن.

ظروف السجن

إن التجارب التي يمر بها السجين ويعتاد عليها، تؤدي - بشكل متزايد - إلى تكوين اتجاه إجرامي لدى من يقضي فترة حكمه ويخرج إلى المجتمع لمتابعة حياته

لقد طالب العديد من السياسيين المنتخبين بأن تتخلص المنشآت الإصلاحية من وسائل الراحة كأجهزة التلفزيون ومكيفات الهواء، وقد كانت هذه المطالبات شيئاً بديهيًا

يرى بعض المختصين

في علم الجريمة بأن

الاستخدام المفرط

للعقوبات تجاه الكثير من

مرتكبي الجرائم البسيطة

قد أدى في الواقع إلى

حدوث جرائم أكثر مما

منع وكل من ألقى القبض

عليه يعرف كم أصابته

هذه التجربة بالإذلال في

الصميم

في صفوفها مجرمين قاموا بأفعال مشينة، وقد يتعرض السجين إلى اعتداء جنسي دون أن يحصل المعتدي على عقابه.

إن هذه التجارب التي يمر بها السجين ويعتاد عليها، تؤدي - بشكل متزايد - إلى تكوين اتجاه إجرامي لدى من يقضي فترة حكمه ويخرج إلى المجتمع لمتابعة حياته.

ومن هنا يكون للسجون تأثير مزدوج: فهي تحمي المجتمع من المجرمين، ولكنها في نفس الوقت تساهم في ازدياد الجرائم من خلال نقل الواقع العنيف الذي تضج به أوساط السجون إلى المجتمع من خلال السجناء الذين يطلق سراحهم.

في الكثير من المجتمعات، يعد إمضاء بعض الوقت في مكان مغلق جزءاً طبيعياً من الحياة لم تتمكن الهيئات الإصلاحية من



يرى الخبراء في أحوال
الأحياء الفقيرة أن الشباب
هناك لا يأبهون إن حكم
عليهم بالسجن لأنهم
يعتبرون ذلك إجراء فائتاً
يؤهلهم لكسب الاحترام
والمنزلة الرفيعة

مترف، كما يبلغ البؤس ببعض السجون حداً يدفع المحاكم إلى إصدار أوامر إلى السلطات بتحسين ظروفها المعيشية والتهديد بسجن هذه السلطات إن لم تمتثل لذلك؛ فعلى سبيل المثال: حكمت المحاكم سنة 1994 على 39 ولاية بالإضافة إلى إقليم كولومبيا بالتخلص من اكتظاظ السجون أو تحسين ظروفها المعيشية. إن إحدى الدوافع التي تقف وراء هذه الظروف هي الرغبة في أن يقضي المذنب وقتاً صعباً قبل أن يحصل على حريته.

عادة ما يستخدم السياسيون المنتخبون الجدل حول ظروف السجون لصرف النظر عن المشاكل الحقيقية التي تواجه جهاز القضاء الجنائي. ففي ولاية الميسيسيبي تم تمرير قانون يمنع استخدام مكيفات الهواء المستقلة ضمن السجون، مع أن سجون هذه الولاية لا تحوي أياً منها. كما صدر في ولاية لويزيانا قانون يحرم السجناء من الالتحاق بصوف تعليم الكاراتيه وفنون القتال، مع أن سجون لا تحوي أي صف لتعليم هذه الأمور. وشن حاكم ولاية كونيتيكت هجوماً

للناس، لأنه ما من دافع ضرائب يرغب بتمويل حياة مريحة للسجناء، مع أن واقع السجون مختلف عما يصفه أولئك الذي يريدون زيادته قسوة هذه الواقع. إذ يعيش ثلاثة من كل أربعة سجناء في الولايات المتحدة الأمريكية ضمن سجون مكتظة، كما يعاني بعض السجناء من التعذيب الجسدي؛ ومن الأمثلة على ذلك ما حدث في سجن ولاية أوريغون، حيث تم تجريّد أحد السجناء من ملابسه وقيد الحراس حركته بشكل كامل ثم وضع في «زنزانة هادئة» لا تنطفئ أضواؤها ليلاً نهاراً، وحرّم من الخروج من زنزاناته للتمرين خمس سنوات متتالية. كما يتعرض بعض السجناء إلى اعتداءات جنسية. وبالإضافة إلى ذلك توجد قضية الفساد؛ فبين عامي 1989 و1994 أدين خمسون موظفاً في المنشآت الإصلاحية بقضايا فساد، وكان 18 شخصاً من هؤلاء يهربون المخدرات إلى السجناء. ومع وجود عدد من السجون التي تتمتع بالنظافة والإدارة الجيدة، فإنه ليس هناك من سجن

للسجون تأثير مزدوج؛ فهي تحمي المجتمع من المجرمين، ولكنها في نفس الوقت تساهم في ازدياد الجرائم من خلال نقل الواقع العنيف الذي تضج به أوساط السجون إلى المجتمع من خلال السجناء الذين يطلق سراهم

عنيفاً على إدارة أحد السجون لأنها أنشأت هيئة لتشجير الأرض المحيطة بالسجن، وفي الواقع كان سكان المنطقة المحيطة بالسجن هم الذين طالبوا بالتشجير لأنهم كانوا منزوعين من المنظر البشع لجدار السجن.

كذلك، يبدو أن تشريعات جديدة لاذلال السجناء بدأت بالظهور، حيث بدأت سجون ولاية الميسيسيبي بأجبار السجناء على ارتداء ملابس مخططة كتب عليها في الخلف «سجين». كما قام حاكم ألاباما بأعادة تشكيل «العصابة المسلسلة»، حيث قام بتشكيل مجموعات يتكون كل منها من خمسة أشخاص ينشغلون بتكسير الأحجار بجانب الطرق السريعة، ودون هدف واضح غير إقناع المارة بأن شيئاً ما يفعل من أجل معالجة مشكلة انتشار الجريمة.

تبدو قضية ظروف السجن أكثر تعقيداً في أذهان القلقين حيال السلامة العامة وعمليات الثأر. إن الجميع يرغبون في أن يشعر

الجميع يرغبون في أن

يشعر السجناء بوحش

العقوبة وفقدان الحرية،

لكنه ليس من مصلحة

السلامة العامة أن يتم

تخريب آمال السجناء

بحيث يخرج أحدهم

من السجن مليئاً بالنكد

والغضب

إن ظروف السجن تمارس

تأثيراً مهماً على مستقبل

السجين بعد خروجه من

السجن، بحيث يتحول إلى

عنصر منتج في المجتمع،

أو يستأنف سلوكه الإجرامي

من جديد

السجين بوحش العقوبة وفقدان الحرية، لكنه ليس من مصلحة السلامة العامة أن يتم تخريب آمال السجناء بحيث يخرج أحدهم من السجن مليئاً بالنكد والغضب.

إن ظروف السجن تمارس تأثيراً مهماً على مستقبل السجناء بعد خروجه من السجن، بحيث يتحول إلى عنصر منتج في المجتمع، أو يستأنف سلوكه الإجرامي من جديد. وعلى الرغم من أن السجون لا يمكن أن تتحول إلى أماكن للتسلية دون أن تفقد تأثيرها الرادع، فأنها لا يمكن أن تتحول إلى معسكرات رهيبة دون أن تنجم عن ذلك مخاطر على السلامة العامة. إن المنشآت الإصلاحية الأكثر فعالية هي التي تحقق التوازن بين العقوبة من جهة، ومن جهة أخرى بين توفير الفرص للسجناء كي يحققوا الاعتماد على أنفسهم، وخاصة عندما يقترب موعد إطلاق سراحهم.

الأثمان الأخرى للجريمة

تقدر الخسائر التي يتكبدها أرباب الأعمال في الضواحي جراء الجرائم بحوالي 50



تأخذ عقوبة السجن جاذبيتها عند السياسيين من أن الشخص المسجون لا يمكنه ببساطة أن يقترب جريمة ضد شخص خارج السجن. لكن هذه البساطة يمكن أن تكون خادعة، وخذ مثالا على ذلك نموذج تجار المخدرات الصغار، فهم يملؤون السجن في وقتنا الحالي، مع أنهم أقل العناصر شأنا في تجارة المخدرات، وعندما يتم القبض على أحدهم فإن مكانه لا يبقى خاليا بل يشغله عنصر آخر بسرعة، وإذا ما قبض على البديل وسجن فإنه سيكلف نفس التكلفة التي يتطلبها سجن الأول، وهكذا يمر على جهاز القضاء الجنائي أجيال من تجار المخدرات ويتم إنفاق البلايين من الدولارات دون أن يتغير منظر تلك الزوايا المليئة بحقن الكوكائين المستعملة.

إن معدل السجن في الولايات المتحدة الأمريكية هو الأعلى عالميا، كما يقبع 2% من القوة العاملة الذكرية الكامنة خلف القضبان، وفي بعض المناطق، يحتجز جهاز القضاء الجنائي حوالي نصف الشبان السود الذكور. ومع هذا لم تخف حدة الجرائم، ومعظم الأمريكيين لا يشعرون بأنهم أكثر أمنا.

تقرير (الحرب على الجريمة)

يفن دونزيفر الهيئة الوطنية للقضاء الجنائي / الولايات المتحدة الأمريكية

بليون دولار سنويا، وتكاليف الرعاية الطبية المخصصة لضحايا هذه الجرائم بحوالي 5 بلايين دولار سنويا، كما ينفق الأفراد والشركات على أجهزة الحماية الخاصة ما يقارب 65 بليون دولار سنويا. إن «ضريبة الأمن» هذه تضاف إلى الضرائب الرسمية التي تمول جهاز القضاء الجنائي، وهي نفقة يدخل في أسباب وجودها: فشل جهاز القضاء الجنائي في تحقيق أهدافه.

إصدار الأحكام

يعتقد الكثير من الأمريكيين بأن المجرمين المدانين ينجون من العقوبة بسهولة، وهم لديهم بعض الحق في قول ذلك. إذ ينجو بعض المجرمين بسهولة من جرائم خطيرة، بينما يدفع مجرمون آخرون ثمنا كبيرا لجرائم أقل خطورة، وتتوضح هذه الصورة إذا قارنا بين مدة الحكم التي يقضيها المجرمون المدانون بقضايا مخدرات للمرة الأولى وبين المدة التي يقضيها القتلة، ففي عام 1992 احتوت السجن الأمريكية على 1800 مدان بجرائم قتل يقضون مددا معدلها 4.5 سنة، وفي نفس العام احتوت السجن الأمريكية على 12727 مدان بجرائم مخدرات غير عنيفة للمرة الأولى يقضون مددا معدلها 6.5 سنة. ومن هنا نرى أنه ما من دولة على سطح الأرض تعامل مرتكبي الجرائم غير العنيفة بقسوة كما تفعل الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي استطلاع شمل طبقة حراس السجن تبين أن هؤلاء الحراس يرون بأن نصف عدد السجناء الذين يراقبونهم يمكن إطلاق سراحهم دون تعريض السلامة العامة للخطر.

اسود

وزفري



المنتهمي هو ذلك الذي لا يرى
غير نجمة واحدة في السماء
أندريه بريضو

التضحية بالنفس أو يبتغي أن
تعاقبه القوانين، فذلك يفسد
الناس الذين نضحي بأنفسنا
من أجلهم
أوسكار وايلد



سارع إلى الاستسلام إلى
التجربة خوفاً من أن تجتازك...
أدوار هربو



عندما نحذر نخطئ وعندما لا
نخطئ نخدع.
شارك شانشول



الرياضة في التحيز

ليس الوقت متأخرا جدا على كبار السن والكسالى كي ينهضوا من سكونهم ويمارسوا التمارين الرياضية، إذ بينت دراسة علمية نشرت مؤخرا بأن النشاط الحركي، ولو بعد حياة ملؤها الكسل، يساعد في الوقاية من حدوث التخلف العقلي - على الأقل عند الفئران.

إن الصلة بين ممارسة التمارين الرياضية والصحة العقلية عند تقدم السن معروفة جيدا لكنها غير مضمومة بشكل كاف. حيث يبدو بأن التمارين الرياضية تؤدي إلى تحريض نمو خلايا عصبية جديدة في أجزاء محددة من الدماغ، وتدل التجارب على أن الكائنات الحية النشيطة جسديا - ومنها الإنسان - تؤدي تمارين الإدراك العقلي بشكل يفوق كفاءة الكائنات الحية الأخرى في هذا المجال، لكن الجدل يدور حول مسألة إمكانية تجاوز بعض الأفراد لنقطة الالاعودة التي لا يمكن فيها تلافي التقصير في أداء التمارين الرياضية.

ترجمة واعداد / مؤيد سليم

قام الباحث الدكتور فريد غيج وفريقه من معهد لاجولا في ولاية كاليفورنيا بأجراء التجارب لمعرفة حقيقة السؤال السابق واستخدموا لذلك الضئان الكهلة والشابة على حد سواء، فتم وضع نصف الضئان في إطارات الدوران حيث كانت تدور فيها مسافة 5-6 كيلومترات يوميا، بينما لم يتم توفير نفس الظرف للنصف الآخر.

بعد حوالي 35 يوما من بدء التجربة، تم تغطيس الضئان في حوض يحوي على مزيج من الماء والحليب، ووضعت منصة نجاه في الحوض يقف عليها الضاركي لا يموت غرقا، وبما أن الضئان تكره السباحة فهي تتعلم دائما كيف تجد العلامات البصرية الدالة على وجود المنصة بسرعة (مع أن العلماء كانوا يغيرون المنصة والعلامات البصرية عدة مرات). وكانت التجربة تقيس مدى السرعة التي يستطيع الضار خلالها أن يتعلم ويتذكر مكان المنصة.

لقد تبين من التجربة بأن سرعة التعلم والتذكر لدى الضئان الكهلة كانت تتعلق بشكل كبير بنشاطها الحركي. فقد كانت الضئان الكهلة في المجموعتين - النشيطة والكسولة - تسبح بنفس السرعة، لذا فإن تفاوت الزمن الذي تستغرقه لإيجاد المنصة لا يتعلق بتحسين قدرته الضار على السباحة. لقد عثرت الضئان الكهلة النشيطة

على المنصة في غضون 15 ثانية. أما الكسولة فاستغرقت 30 ثانية - أي ضعف الزمن. (بالنظر إلى الضئان الشابة نستنتج بأن الشباب عندما يذهب يأخذ معه الكثير، فعلى الضئان الكسولة منها استطاعت إنجاز المهمة في أقل من 15 ثانية).

إن الاختلاف في الأداء لدى حيوانات التجربة السابقة يمكن تفسيره بشيء ما كان يحصل في أدمغتها، فبعد أسبوع من اختبار الغطس تم قتل الضئان وفحص أدمغتها لمعرفة كمية الخلايا العصبية الجديدة

المتشكلة، وتبين بأن أدمغة الفئران الكهلة
المتمرنة قامت بتحويل 26% من الخلايا
الدماغية الجديدة إلى خلايا عصبية.
صحيح أن النسبة لم تكن كمثيلتها
لدى الفئران الشابة،
لكنها كانت أكبر
من النسبة
9.5%

لكن الدكتور غيج (الذي يتمرن
يومية) يرى بأن دراسته أثبتت
عكس ذلك. وعلى الرغم من أنه
لم يتضح بعد فيما إذا كانت
الخلايا العصبية الجديدة هي
المسؤولة عن تحسن الأداء، فإن
هذه التجربة تشير إلى تأييد
هذا الرأي.

وبغض النظر عن اقتصار هذه
التجربة على الفئران، فقد
أظهرت بأن البشر وكغيرهم
من الكثير من الكائنات الحية،
يتملكون القدرة على تكوين
خلايا عصبية جديدة
وإن تقدم بهم العمر،
ويمكن التعبير عن هذا
الأمر بشكل أكثر صراحة:
إن التمارين الرياضية
لا تفعل فعلها في شكل
البطن فحسب، بل تتعدى
ذلك إلى أداء العقل أيضا.

عن مجلة الايكونوميست
البريطانية

التي
حققتها
الفئران الكهلة التي لم
تتمرن.

كما وجد الفريق العلمي أنه بالضحص المجهرى
للخلايا العصبية الجديدة لدى الفئران الكهلة
المتمرنة، تبين بأنها تشبه مثيلتها لدى
الفئران الشابة، وهذا يؤدي إلى الاستنتاج بأنها
تعمل بشكل جيد.

وقد برز افتراض بأن الأدمغة الكهلة فقدت
قدرتها على تكوين الخلايا العصبية الجديدة،

* التمارين الرياضية

تؤدي إلى تحريض

نمو خلايا عصبية

جديدة في أجزاء

محددة من الدماغ

* تبين من التجربة

بأن سرعة التعلم

والذكر لدى الفئران

الكهلة كانت

تتعلق بشكل كبير

بنشاطها الحركي

* التمارين الرياضية

لا تفعل فعلها

في شكل البطن

فحسب، بل تتعدى

ذلك إلى أداء العقل

أيضا.

* أظهرت التجارب

بأن البشر،

وكغيرهم من الكثير

من الكائنات الحية،

يتملكون القدرة

على تكوين خلايا

عصبية جديدة وإن

تقدم بهم العمر

التمهيد للجائحة

الحاجة إلى المزيد من
اللقاحات من أجل تهيئة
العالم لمواجهة خطر انتشار
الأنفلونزا

من الصعب التصور بأن مجموعة الألام
التي يعرفها الناس على أنها
(الأنفلونزا) قد تتحول إلى نمط
مفرط قد يقتل عشرات الملايين
من البشر خلال سنتين.

ولحد الآن، لا يزال هذا الخطر محققا
إذا ما كرر هذا النمط فعلته بعد أن
سبق له الهجوم على حياة البشر ثلاث
مرات في القرن الماضي، فقتل 25-50
مليونا عندما انتشر عام 1918 لوحده، ويرى
الكثير من العلماء بأن جائحة أنفلونزا تقف
على الأبواب لتعلن عن قدومها عاجلا أم آجلا.



ترجمة واعداد / مؤيد سليم

لقد تمكن العلماء القلقون من لفت انتباه السياسيين إلى هذا الخطر، فأعلن الرئيس الأمريكي جورج بوش في اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة عن إقامة شراكة عالمية جديدة لتقديم تقرير عن جائحة أنفلونزا الطيور، وسيجتمع وزراء الصحة في الدول الأعضاء في منظمة الصحة العالمية في كندا لمناقشة الإجراءات اللازم اتخاذها من أجل حشد الموارد وتعزيز الرقابة وتحسين إمكانية احتواء الجائحة والتعامل معها عند حدوثها. إن منظمة الصحة العالمية ترغب في انضواء الكثير من الحكومات في عملية إعداد خطط التأهب (إذ لا توجد لحد الآن سوى 40 دولة تمتلك خططا مشابهة) والاتفاق على آلية التعاون في التعامل معها.

يتمثل أحد الأمور المقلقة في ندره لقاحات الأنفلونزا، فعلى الرغم من أن منظمة الصحة العالمية وضعت كمية كبيرة من الأدوية المضادة للفيروسات في تصرف دول العالم مؤخرا، فإن السبيل الأكيد الوحيد لحماية بلايين الأشخاص من الأنفلونزا الشديدة هو التلقيح، انطلاقا من حقيقة تمتع القليل من الناس بالمناعة الطبيعية ضد هذا المرض.

قد يحتاج إنتاج اللقاح إلى ستة أشهر من بدء الجائحة، وخلال هذه الفترة، يحتمل وفاة العديد من المصابين، أما مضادات الفيروسات فقد تستغرق شهرا من التأخير لكي تصبح متوفرة في مناطق الإصابة، لكنه ومع هذا التأخير، فإن العالم غير مهيا أبدا للإصابة بجائحة الأنفلونزا، فالقدرة الكلية لمصانع العالم على إنتاج لقاحات الأنفلونزا الشديدة هي 300 مليون حقنة سنويا فحسب (تحتوي كل حقنة على 15 ميكروغرام من المادة الفعالة المعروفة بمولد الضد)، وإذا ما حصلت الجائحة فإن عدد ملايين من الناس سيحتاجون للقاح بمعدل حقنتين كبيرتي الجرعة كحد أقصى.

وفي حين أن معظم الناس يحتاجون حقنة

لإنتاج لقاح الأنفلونزا، يجب

أن ينمو الفيروس في

بيض الدجاج المخصب دون

السماح بنمو أية أحياء

أخرى بجانبه مما قد يلوث

المنتج

يرى مسؤولو الصحة

الحكوميين ومصانع الدواء

بأنه إذا ما حدثت جائحة

الأنفلونزا، فستقوم الدول

المصنعة للقاحات بإعلان

حالة الطوارئ وتحديد أو

منع تصدير اللقاحات إلى

الدول الأخرى

إن تلك التوقعات قد تسبب قلقا أكبر بقليل من الخطر العالي الناتج عن الانتشار الواسع لسلالة لا تقاومها مناعة الإنسان من فيروسات أنفلونزا الطيور. لقد قتلت هذه السلالة أكثر من ستين شخصا لحد الآن، أي حوالي نصف الذين أصابتهم العدوى، كما لوحظت حالات قليلة انتقلت فيها العدوى من إنسان لآخر، ويعتري المسؤولون الصحيون القلق لأن المساحة الجغرافية الواسعة التي اجتاحتها فيروس أنفلونزا الطيور تلغي السؤال المتعلق باحتمال انتقال العدوى إلى الإنسان بسهولة، لتطرح سؤالا بديلا حول المدة الزمنية التي تفصلنا عن ذلك.

واحدة فقط من لقاحات الجدري أو الحصبة كي يتمتعوا بمناعة على مدى الحياة ضد هذه الأمراض، فأن الحال في الأنفلونزا يختلف عن ذلك. إذ ينبغي إنتاج لقاح الأنفلونزا سنويا بدءا من الصفر لأنه يتغير سنويا.

يعتبر إنتاج اللقاحات من الأمور المعقدة التي تميل إلى الاصطدام بمشاكل الصناعات الدوائية. فلإنتاج لقاح الأنفلونزا، يجب أن ينمو الفيروس في بيض الدجاج المخصب دون السماح بنمو أية أحياء أخرى بجانبه مما قد يلدت المنتج. وينبغي إنتاج البيوض وفق إجراءات خاصة لضمان صحة أجنة الدجاج وبيلة نمو الفيروس.

إن الاعتماد على البيض هو المسؤول عن تحديد مدة الإنتاج في عملية إنتاج لقاح الأنفلونزا، إذ تستغرق البضعة أسابيع لحضانة الفيروس مع نمو أجنحتها، ثم يستخلص الفيروس من الخلايا التي هاجمها ويتم تثبيطه. وعندما يحقق الفيروس المثبط في الكائن الحي، فإنه يحث الجسم على القيام بتفاعلات مناعية تؤدي إلى تشكيل مضادات لهذا الفيروس، وهذه المضادات تقوم بحماية الجسم من النسخة الحية الحقيقية من الفيروس والتي تلقاها عبر العدوى.

يتم إنتاج معظم لقاحات الأنفلونزا في العالم في تسع دول هي: أستراليا، بريطانيا، كندا، فرنسا، ألمانيا، إيطاليا، اليابان، هولندا، والولايات المتحدة الأمريكية.

ونسائرا أوروبا إنتاج 70% من مجمل اللقاحات المنتجة، لكن المصانع الأوروبية التي تنتج هذه اللقاحات يعترها القلق، حيث يرى مسؤولوها بأنه بغياب الاتفاقيات العالمية ذات الصلة، يلوح خطر تعرض إمدادات اللقاحات إلى النقص وسوء التوزيع والتأخير.

وبين مسؤولي الصحة الحكوميين ومصانع الدواء يلوح افتراض منتشر يرى بأنه إذا ما حدثت جائحة الأنفلونزا، فستقوم الدول المصنعة

أدى انتشار فيروس أنفلونزا

الطيور مؤخرا إلى إجبار

الحكومات على تسريع

العمل بشكل استراتيجي

توجد حاليا أبحاث جديدة

قيد الدراسة قد تؤدي

في المستقبل إلى تدمير

أسطورة الفيروس الذي لا

يقهر

يسعى عدد من العلماء

إلى ابتكار دواء يستنشق

فيغلف خلايا الرئة

بحاجز واقف يمنع دخول

الفيروسات

لللقاحات بأعلان حالة الطوارئ وتحديد أو منع تصدير اللقاحات إلى الدول الأخرى. قد يبدو هذا الأمر جيدا بالنسبة لسكان هذه الدول، لكنه سيبقى بقية العالم محروما من اللقاح.

يقول الدكتور لوك هيسيل، مدير الشؤون العامة في مصنع سانوفي باستور لإنتاج اللقاحات في فرنسا، حول السباق من أجل التهيؤ لمواجهة الجيل الجديد من الفيروسات بأنه «ماراثون وسباق قصير في آن واحد».

إن انتشار فيروس أنفلونزا الطيور قد أمد مؤخرا إلى إجبار الحكومات على تسريع العمل بشكل استراتيجي. حيث قام المعهد الوطني الأمريكي للصحة بتقديم أموال لمصنع سانوفي باستور

لكن حلا ذكيا جاء من المختبرات الأوروبية، حيث يعتبر الدكتور رينو رابولي، المدير العلمي لشركة شيرون، من العلماء الذي يعملون من أجل تخفيض جرعة اللقاح الكافية لتأمين الحماية، وذلك من خلال إضافة مادة مساعدة إلى الحقنة، وهذه المادة تعمل على إطالة أمد بقاء اللقاح في مكان حقنه مما يعزز من التأثير الوقائي للقاح. ويرى الدكتور رابولي أن استخدام هذه المادة المساعدة سيقول جرعة اللقاح الكافية إلى النصف. وبالتالي، تستطيع هذه المادة أن تضاعف قدره العالم في إنتاج لقاحات الانفلونزا.

يبدو كذلك أن المادة المساعدة تقوم بأطالة أمد بقاء المناعة ضد الانفلونزا. ففي دراسة نشرت في وقت مبكر من هذا العام في مجلة (الأمراض المعدية)، قامت مجموعة الدكتور رابولي بدراسة نماذج من الأشخاص الذين أجريت عليهم دراسات حول لقاحات الانفلونزا بعد انتشار انفلونزا الطيور في هونغ كونغ عام 1997، ووجدت بأن الأشخاص الذين تلقوا لقاحات أضيفت إليها المادة المساعدة قبل سنوات لا يزالون يتمتعون بمناعة مهمة ضد سلالة انفلونزا الطيور التي تنتشر الآن.

إن الخطوة التالية هي فحص فعالية اللقاح ضد

المسؤولون
الصحيون قلقون
من المساحة
الجغرافية الواسعة
التي اجتاحتها
فيروس أنفلونزا
الطيور

وشيرون (مصنع لقاحات أمريكي في كاليفورنيا)، من أجل إنتاج نماذج أولية من لقاحات النسخة (H5N1) التي تنتشر حاليا. إذ لو حصلت جائحة الأنفلونزا اعتمادا على هذه النسخة، فسيكون هنالك أمل في أن تقوم هذه اللقاحات بتوفير الحماية الكافية ضد السلالة الجديدة مما ينقذ أرواح الناس. كما يؤدي توفر لقاح أولي في مرحلة ما قبل الموافقة إلى تسهيل الحصول على الموافقة في ما بعد. أما في أوروبا فلا توجد منهجية واضحة كهذه في تمويل عمل تطويري قصير المدى، وفي هذا يقول الدكتور هيسيل بأن نقابة مصنعي اللقاحات تقوم باتصالات عن قرب مع الوكالة الأوروبية من أجل ردم هذه الضجوة الواضحة.

لقد أدى التصرف الأمريكي إلى ظهور نتائج مهمة. إذ تم تطوير اللقاح، وطلبت السلطات كميات صغيرة منها لاستعمالها في مجال حماية العاملين في المجال الصحي. وأهم نتيجة هي معرفة العدد الكبير من اللقاحات التي يجب توفيرها من أجل تزويد المواطنين بالحماية، حيث يحتاج كل مواطن إلى حقنتين من اللقاح بجرعة 90 ميكروغرام، وهذا يعني أن أمريكا تستطيع تحصين 5% من شعبها فقط ضد المرض.

يرى الكثير من
العلماء بأن
جائحة أنفلونزا
تقف على الأبواب
لتعلن عن
قدومها عاجلا أم
اجلا

فيروس (H5N1) الذي يمثل السلالة الجديدة من سلالات انفلونزا الطيور، بأضافة المادة المساعدة.

يقول الدكتور جون ترينور الأستاذ في كلية الطب، جامعة روشستر، بأن هناك ثلاث مواد مرشحة لأن تتبوا منصب المادة المساعدة: اثنتان منها لا تثيران الاهتمام وتملكهما شركتا شيرون وغلاكسو سميث كلاين، والثالثة ما هي إلا حجر الشب (من أملاح الألمنيوم)، وقد استعملت على نطاق واسع في صناعة اللقاحات، ناهيك عن لقاح انفلونزا الطيور الذي يحتاج إلى بذل الكثير من الجهود في تطويره.

على الرغم من الأمل الواعد الذي يقدمه استخدام المواد المساعدة، فإن بعض الصعوبات لا تزال تعترض الطريق. إذ قد تؤدي هذه المواد إلى حدوث مضاعفات موضعية خفيفة، كما لا يسمح باستخدامها في لقاحات الانفلونزا إلا في 20 بلدا من بينها إيطاليا التي تستضيف أعمال الدكتور رابولي وتلقى 18 مليوناً من مواطنيها لقاحات الانفلونزا التي صنعتها شركة شيرون بأضافة المواد المساعدة. ومهما يكن من أمر، فإن الفوائد الملموسة التي تقدمها المواد المساعدة، تجعلها مستحقة للمتابعة تلبية للحالة الراهنة الملحة.

سبق لفيروس

أنفلونزا الطيور

الهجوم على حياة

البشر ثلاث مرات

في القرن الماضي،

فقتل 25-50

مليوناً عندما انتشر

عام 1918 لوحده

توجد خيارات أخرى بديلة عن استعمال المواد المساعدة ولكنها لا تزال قيد الدرس، كاستعمال كمية أقل من اللقاح مع حقنها في أنحاء متفرقة من الجسم للحصول على رد فعل قوية كالتي تحدث في الجلد. لكن كلاوس ستور الذي يدير البرنامج العالمي للانفلونزا يصر على أن الطريق الوحيد لمواجهة التهديدات المجهولة للجائحة المتوقعة هي عبر قيام الحكومات بتوفير أحسن الظروف لقيام مشاريع تطوير اللقاحات، وزيادة ما يقدم من اللقاحات الموسمية بما يتلاءم مع الأولويات الصحية لدى الحكومة، وهو يعني بهذا أن تقوم الحكومات بشراء كافة اللقاحات الموسمية التي تنصح بها المؤسسات الصحية الوطنية.

إن هذا الرأي يساعد الحكومات على تقديم ثقة طويلة الأمد لمصانع الأدوية بما يضمن شراءها لكافة كميات اللقاحات التي تنتجها هذه المصانع كل عام. فعلى سبيل المثال، قامت كندا بتوقيع اتفاق مدته عشرة أعوام مع أحد مصانع الأدوية لشراء إنتاجه الموسمي من اللقاحات، كما يقوم الشعب الكندي بدفع ضريبة سنوية تدعى «ضريبة الاستعداد للجائحة»، وهذه الضريبة تشترط أن تكون الشركة التي تتعاقد

يعتبر إنتاج

اللقاحات من الأمور

المعقدة التي تميل

إلى الاصطدام

بمشاكل

الصناعات الدوائية

معها الحكومة قادره على إنتاج 8
ملايين جرعة من اللقاح شهريا على
امتداد 4 أشهر.

سيكون هناك العديد من الخيارات على
المدى البعيد، إذ يمكن عندها إنتاج
اللقاحات ضمن مستنبت خلوي بدلا
من العملية المجهدة التي تستخدم
البويض، وهذا يجعل عملية الإنتاج أكثر
مردودا. كما توجد حاليا أبحاث جديدة
قيد الدراسة قد تؤدي في المستقبل إلى
تدمير أسطورة الفيروس الذي لا يقهر،
إذ يعكف بعض الباحثين على إنتاج
لقاح شامل، تؤدي حقنة واحدة منه إلى
التمتع بحصانة مدى الحياة ضد جميع
أنواع الفيروسات.

بينما يسعى غيرهم إلى ابتكار دواء
يستشق فيغلف خلايا الرئة بحاجز
واق يمنع دخول الفيروسات. إن عمل
هؤلاء العلماء المبتكرين يشبه سباق
عدائي الماراثونات، لكن في هذه الحالة
قد يصل عداؤو المسافات القصيرة إلى
خط النهاية قبلهم.

W عن مجلة الايكونوميست البريطانية



ترجمة واعداد / محمد خليل

ثمة أمر مريب في دقة الرقم
المقدر لأي مشروع من مشاريع
استكشاف القمر، وهو مئة
وأربعة بلايين من الدولارات.
وقد يكون الشك مقبولا في
هذه الحالة إذا ما عرفنا بأن هذا
الرقم هو حصيلة أربعة أشهر من
العمل قامت بها وكالة الفضاء
الأمريكية (ناسا)، في مشروع
تجاوز فترة الستين يوما التي
كانت مخصصة له.

السفر إلى القمر



بالرغم من ذلك، تحاول ناسا بخططها الجديدة أن تكسب رضى مجموعة كبيرة من المؤيدين ظهرت فجأة.

إذ تخطط ناسا لأن تتمكن من إرسال مركبة تمهبط على سطح القمر في رحلات تستغرق كل منها أسبوعا واحدا أو أكثر، وذلك بحلول عام 2018.

كما تخطط لأن يكون لديها بحلول عام 2010 بديل للمكوك الفضائي المستعمل، أو مكوك آخر جاهز للطيران. بالإضافة إلى أنها قد تحذو حذو القطاع الخاص في توفير طريقة أرخص لإيصال الشحنات إلى المحطة الفضائية الدولية مقارنة بالعقود المكلفة التي تبرم مع الشركات الحالية. وقبل أن ننسى، تضيف ناسا إلى مخططاتها القيام برحلات إلى المريخ يوما ما إذا أمكن ذلك.

إن السبيل إلى تحقيق كافة الأهداف السابقة يكمن في صنع مركبتين جديدتين، لا واحدة فقط.

أولى المركبتين تشبه المكوك أبولو وتدعى بمركبة الطاقم المخصصة للإطلاق، وهي تستطيع نقل طاقم يصل عدد أفرادها إلى ستة أشخاص من وإلى المحطات الفضائية. وربما ترسو بجانب إحدى هذه المحطات في حال الخطر.

أما المركبة الثانية فهي مركبة الطاقم المخصصة للاستكشاف، حيث تقوم المركبة الأولى بتثبيت نفسها ضمن مدار القمر ثم تطلق المركبة الثانية التي تملك أليتين: الأولى تدفعها نحو القمر، والثانية تساعد في المبوط على سطحه. وتقول ناسا بأن هذا كله يمكن فعله بالاستعانة بميزانيتهما السنوية.

إن إطلاق المركبة باستعمال مكونات المكوكات

الحالية سيوفر من التكاليف. وعندها يجب إطلاق مركبة الطاقم المخصصة للاستكشاف باستعمال مركبة من الوزن الثقيل في طريقها إلى إيصال شحنات إلى محطة فضائية أو أخذ بعض المعدات لمدار المريخ من أجل تصويره. وسيكون إطلاق هذه المركبة بهذه الطريقة أكثر أمانا من استعمال المكوك، لأن الطاقم سيكونون فوق الصاروخ مما يجنبهم التماس مع السحابة التي يطلقها.

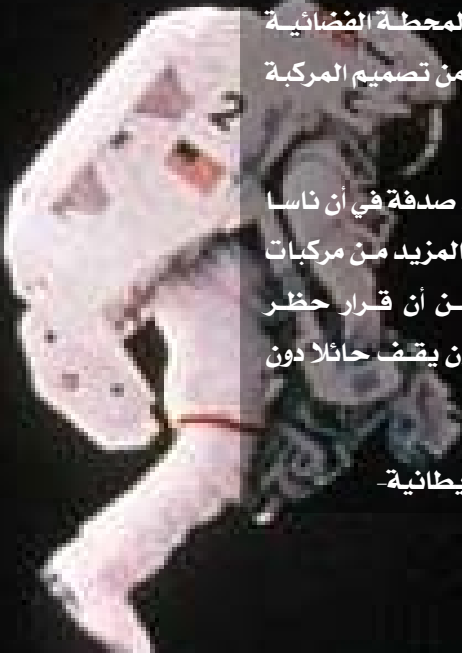
إن استعمال الأجزاء المأخوذة من المكوكات يؤدي إلى استمرار عمل معظم الفضائيات التي تديرها ناسا (وهو أمر يسعد بعض السياسيين أيضا).

ومؤخرا، قام مدير وكالة ناسا، الدكتور مايك غريفيث، بتغيب القطاع الخاص عندما صرح بأن بنية المركبة الناقلة تتجاوز مهمة نقل الإمدادات للمحطات الفضائية. لكن الأمر الوحيد الذي لم يوضحه الدكتور غريفيث هو: كيف يمكن بناء هذه المركبة مع استمرار المكوك في رحلاته؟ ربما لم يرغب الدكتور غريفيث في إفساد الفرحة التي سببها من خلال القول بأن خطته تقتضي إلغاء الكثير من المهام المتبقية للمكوك.

لكن، كيف ستتمكن الولايات المتحدة الأمريكية من إرسال رواد الفضاء إلى المحطة الفضائية الدولية قبل أن يتم الانتهاء من تصميم المركبة الجديدة؟

إنه لمن المؤكد عدم وجود صدفة في أن ناسا ستطلب السماح لها بشراء المزيد من مركبات سويوز الروسية، بالرغم من أن قرار حظر تخصيب اليورانيوم على إيران يقف حائلا دون رغبة الوكالة.

عن مجلة الايكونوميست البريطانية-



نحو



عظام أمّين لأطفالنا



ثمة عادات سيئة تعرض أطفالنا لخطر الإصابة بترقق العظام، وفي هذا المقال وسائل لحماية أطفالك من هذا الخطر

من الملاحظ أن الأطفال يكثر من شرب المياه الغازية هذه الأيام، مما يهدد العظام للإصابة بالترقق، ولا يعود ذلك إلى أن المشروبات الغازية والسكرية تسبب ترقق العظام نتيجة تأثيرها الكيميائي، بل يعود ذلك إلى أنها عادة ما تكون بديلا عن تناول كوب الحليب الضروري كل يوم، مما يجعل الأطفال محرومين من الكمية اللازمة من الكالسيوم وفيتامين D الضروريين لبناء هيكل عظمي قوي. كما يحيا الكثير من الأطفال في عصرنا هذا حياة الكسل فلا يقومون بالتمارين الرياضية الشديدة التي تنعكس على العظام بنتائج بناءة. إن هؤلاء الأطفال ليسوا معرضين إلى مستقبل مليء بالكسور ومشاكل العظام المشهورة فحسب، بل إن خطر الإصابة بترقق العظام المبكر يهددهم أيضا.

إن تلك مشكلة ينبغي أن يقلق الآباء بشأنها، يقول الدكتور ليون روت أستاذ تقويم العظام السريري في كلية ويل الطبية التابعة لجامعة نيويورك ومؤلف كتاب (عظام جميلة دون هرمونات): « في الواقع، إن ترقق العظام هو مرض طفولي يقوم بالتعبير عن نفسه في ما بعد..» يتمثل مرض ترقق العظام بتحول البنية العظمية إلى بنية غربالية مليئة بالثقوب تشبه قطع الخشب التي تهاجمها الأرضة، مما يؤدي إلى سهولة انكسارها، وبالتالي إلى الإصابة بالاعاقات أو الألم المزمن أو العجز أو حتى الموت: حيث تشير الإحصائيات إلى وفاة 20% من الأشخاص الذين يصابون بكسر في عظم الورك خلال عام من الإصابة.

عندما يتم الحديث عن مرض ترقق العظام تتبادر إلى الذهن صورة الجدة والخوف من إصابتها به، وهذا أمر مشروع ولكنه يجب الانتباه إلى أنها ليست وحدها المهددة، ففي الولايات المتحدة الأمريكية توجد 8 ملايين امرأة مصابة بترقق العظام وإلى جانبهن مليونان من الرجال. كما يوجد 34 مليون أمريكي آخري يعانون من انخفاض الكتلة العظمية ومعظمهم لا يدرون بالكارثة التي تنتظرهم. يقول الدكتور ريتشارد كارمونا وهو أول طبيب يصدر تقريراً حول ترقق العظام في نشرة (الجراح العام) في تشرين الأول الماضي: «لا نرى على شاشة التلفاز برامج عن ترقق العظام، كما لا نقرأ عنه شيئا في الصفحات الأولى للجرائد، ولكن يبقى اتباع الطرق الوقائية سبيلا لإنقاذ الآلاف من الأرواح.»

اليوم، هناك إدراك طبي جديد حول أفضل الطرق لحماية أطفالنا، يقول الدكتور روت: «يمكن لتغييرات طفيفة في نمط حياتنا أن تؤدي إلى حماية عظامنا، وبالتالي، إنقاذ حياتنا. لذا علينا أن نتصرف بشكل عاجل ومن هذه اللحظة، فلا مكان هنا لكلمة (مبكر) أو (متأخر).»

علاقة الكالسيوم

خلافًا للمعتقد السائد، فإن الهيكل العظمي ليس بنية متييسة ثابتة، ففي كل عام، يقوم الجسم بتجديد 20% من النسيج العظمي الإسفنجي، وهذا يعني أن النشاط الذي نقوم به خلال سني حياتنا يؤثر على صحة العظام. وتتلخص عملية التجديد في تفتت البنى العظمية الكهلة لتترك مكانها فجوات تمتلئ

ببني جديد، وهذه العملية تتم بكفاءة عالية حتى سن الثلاثين، لذا فإن اتباع الأساليب الصحية الصحيحة كممارسة التمارين الرياضية والحصول على كميات كافية من الكالسيوم يساعد على أن تصل العظام إلى بنيتها القوية التي تنص عليها بيانات الجينات الشخصية.

يجب معاملة العظام بالطريقة نفسها التي يعامل بها مال التقاعد: فكلما أودعت مالا أكبر في شبابك، كلما تحسنت الحال التي ستعيش عليها عند كهولتك. لكن الأطفال لا يودعون في مصارفهم ما يكفي من الكالسيوم، حيث تشير الإحصائيات في الولايات المتحدة الأمريكية إلى أن 20% من الفتيات و50% من الأولاد يتناولون الكمية اللازمة يوميا من الكالسيوم، هذا العنصر الضروري لبناء العظام. إن هذه ظاهرة مخيفة، خاصة إذا عرفنا بأن 90% من مجمل النمو المتراكم للعظم يتم قبل بلوغ سن العشرين، كما يوجد خطر أكبر يسببه نقص الكالسيوم ويتجاوز احتمال الإصابة بترقق العظام في المستقبل ويسبقه ليحصل في وقت أبكر، حيث أشارت دراسة أجرتها مستشفى مايو كلينيك إلى ازدياد ينذر بالخطر في حالات كسور عظم الساعد مقارنة بعدد الحالات المماثلة قبل ثلاثين عاما.

إن تزويد الأطفال بمقادير كافية من الكالسيوم يحميهم من التعرض للإصابات المؤلمة. في دراسة أجراها المركز الطبي في جامعة ولاية أوهايو، اقتضى الأطباء أثر نمو الهيكل العظمي لمجموعة من الفتيات تتراوح أعمارهن بين 8 إلى 13 عاما خلال مدة سبعة أعوام، وكان هؤلاء الفتيات يتلقين مقدارا يوميا (800 ملغ) من الكالسيوم أقل من المقدار الضروري

اللازم لفنتهن العمرية (1300 ملغ)، فتم إعطاء بعضهن مقدارا إضافيا من الكالسيوم بينما لم يعمل ذلك للأخريات، وكانت النتيجة كما قال الدكتور فيليمير ماتكوفيتش كبير محرري التقرير ومدير مركز OSUMC لعلاج والوقاية من ترقق العظام: «لقد شاهدنا منافع كبيرة نتجت عن كمية الكالسيوم الإضافية، وبالأخص في مرحلة البلوغ حيث تطرأ على الأطفال ظاهرة نمو سريع». وتجدر الإشارة إلى أن المجموعة المدعومة لم تتطور عظامها نحو الأحسن فحسب، بل حظيت كذلك بنصف نسبة إصابات الكسور التي أصابت المجموعة الأخرى.

هل يحتاج جميع الأطفال إلى دعم؟ نظريا، يحصل الأطفال والبالغون على حاجتهم اليومية من الكالسيوم من خلال التغذية الصحيحة. هل الحليب ضروري؟ إن مشتقات الألبان جميعها تؤدي مهمة الحليب في التزويد بالكالسيوم، وينضم إليها في ذلك السردين أو السلمون المملح مع عظامه، والخضراوات الورقية الخضراء، وفول الصويا، وعصير البرتقال المضاف إليه الكالسيوم، والحبوب، وطعام الفطور الجاهز الصحي. يجب تشجيع الأطفال على أن يتناولوا يوميا 3-5 أصناف من الأطعمة المذكورة، وتعريفهم بأخر الأبحاث التي تؤكد زيف معلوماتهم: فالأطفال الذين يتناولون الحليب كثيرا يتمتعون بالرشاقة أكثر من غيرهم، بينما من الطبيعي أن تشيع السمنة ضمن الأطفال الذين يكثرون من تناول المشروبات الغازية وغيرها من المرطبات المحلاة.

يقول الدكتور ماتكوفيتش: «بما أن معظم الناس لا يتناولون مقدارا كافيا من الكالسيوم،

الكالسيوم لديهم بمقدار 65%.

ينصح الدكتور هيني وخبراء آخرون بزيادة نسبة الوارد اليومي من هذا الفيتامين، وهو يرى بأنها يجب أن تكون 1800 وحدة دولية لتحقيق الوقاية الأمثل. يقول الدكتور هيني: «إن الوارد اليومي الضئيل من الفيتامين D يؤدي إلى العديد من الاضطرابات المزمنة، كترقق العظام والسكري من النمط الأول وحتى السرطان، لذا فعوز هذا الفيتامين يمثل مشكل صحية هائلة.»

يكن جزء من المشكلة في أن هذا العنصر الغذائي يوجد في عدد قليل نسبيا من الأغذية. كذلك يعتمد الاصطناع الطبيعي له في الجسم على التعرض للشمس، وهذا غير مناسب للأشخاص الحساسين للإصابة بالحروق الشمسية. يقول الدكتور هيني: «لقد تبين لنا بأنه في القسم الشمالي من الولايات المتحدة الأمريكية، يحصل العاملون في الأماكن المكشوفة على مقدار كاف من الفيتامين D في فصل الصيف، لكن هذا الأمر لا يستمر في فصل الشتاء حيث تكون الشمس منخفضة في الأفق.» كذلك، أظهرت الدراسات أن اصطناع الجلد للفيتامين D يتضاءل عند الأشخاص المسنين، حتى لو كانوا مغرمين بالتعرض للشمس، وهذا الأمر يمكن تداركه باستعمال الجرعات الدوائية من الفيتامين D كحل أمثل لوقاية عظامهم.

استعمل عظامك أو أخسرها

عندما يتقادم بك العمر، تصبح عملية خسارة العظم أسرع من عملية بنائه. فالنساء اللواتي يدخلن مرحلة سن اليأس يفقدن ما يصل إلى 20% من الكتلة العظمية بعد 5-7 أعوام بسبب عوز هرمون الاستروجين، لذا ينبغي إيلاء اهتمام

فيمكن استعمال جرعات الكالسيوم لتعويض النقص الحاصل وسد الحاجة. ولهذه الجرعات أشكال متعددة يؤدي كل منها دوره بشكل جيد. فالحبوب المنكهة القابلة للمضغ تستهوي الأطفال، مما يزيد احتمال تناولها إن هي أعطيت لهم.» وفي الدراسة السابقة، تم إعطاء الفتيات الكالسيوم بمقدار 1000 ملغ يوميا على جرعتين: 500 ملغ صباحا، و500 ملغ أخرى مساء، لأن الكالسيوم يتم امتصاصه بشكل أفضل إذا أعطي بجرعة 500 ملغ أو أقل في كل مرة. وهي كذلك جرعة مناسبة للبالغين الذين يعانون من نقص الكالسيوم في غذائهم. وينبغي الانتباه إلى أن جرعات الكالسيوم قد تتعارض مع أدوية معينة، لذا قم باستشارة الطبيب أو الصيدلاني قبل تناولها.

دور الفيتامين D

هل تحصل على ما يكفي من الفيتامين D؟ يتعاطم يوما بعد يوم إجماع العلماء أن الكميات المنصوح بأخذها حاليا من الفيتامين D هي كميات غير كافية (200 وحدة دولية لمن لم يبلغوا الخمسين بعد، و400 أو 600 وحدة دولية لمن هم أكبر سنا). إن هذا الخبر يسوء عظامنا، لما لهذا الفيتامين من دور أساسي في عملية الاستفادة المثلى من الكالسيوم، كما يقول الدكتور روبرت هيني أستاذ الطب في جامعة كريتون في مدينة أوماها الأمريكية، ففي بحث نشره عام 2003 قارن بين الآثار الناتجة عن إعطاء جرعات من فيتامين D للنساء في فترة ما بعد سن اليأس لمدة عام، وتوقفه عن إعطائهن هذا الفيتامين لمدة عام آخر، وكانت النتيجة كالتالي: يؤدي ازدياد نسبة الفيتامين D في دم هؤلاء النساء إلى ازدياد نسبة امتصاص

ويمكن ذكر أصناف أخرى من رياضات التحمل التي تستهوي الأطفال كجر العجل والتزلج على اللوح والرياضات الجماعية مثل كرة القدم.

يقول الدكتور ايثيل سيريس مدير مركز ترقق العظام في مستشفى نيويورك المشيخي التابع للمركز الطبي في جامعة كولومبيا: «إن تشكيل جسم الإنسان عملية تتم خلال كل مراحل الحياة، لذا فإن التمارين مهمة جدا للأطفال والمراهقين لأنهم يكونون في خضم عملية بناء الكتلة العظمية. أما الثلاثينيون والأربعينيون فتساعدتهم التمارين على الاحتفاظ بالكتلة العظمية الراهنة.» لقد أظهرت الأبحاث أن الرياضات التحملية تستطيع القيام بكبح جزئي لعملية تخريب العظام التي تلي بلوغ سن اليأس، وحتى إن وصل الإنسان إلى سن الثمانين حيث تزداد نسبة التعرض للكسور، فإن التمارين الرياضية لا تفقد أهميتها، لأنها تكسب المسنين بنية جسدية متعافية تقلل من احتمال سقوطهم وكسر أوراكمهم.

يقول الدكتور كارمونا: «إنني أدعو الجميع، من الأطباء وغيرهم، إلى العمل سوياً من أجل تحسين واقع الصحة العظمية. إن الملايين معرضون لخطر الإصابة بالكسور، وكلهم يمكن وقايتهم من ذلك. إنها أفة يجب أن لا تحصل».

ليزا كولير كول / عن مجلة ريذرز دايجست الأمريكية

أكبر لصحة العظام من أجل تقليص الأضرار الناتجة عن ذلك. كذلك، يتأثر الرجال أيضاً بظاهرة نقص البنية العظمية نتيجة تقادم السن، ولكن ليس بنفس الشكل المأساوي الذي يحدث عند النساء، ويفسر ذلك بأن هياكلهم الكبيرة تحوي كميات أكبر من الكتلة العظمية، كما لا تتوقف غدهم عن إفراز الهرمونات بعد سن الخمسين.

تحتاج هياكلنا العظمية إلى تمرينها بشكل منظم وفي كل مرحلة عمرية كي تبقى قوية، لكن ذلك لا يحصل في الولايات المتحدة الأمريكية، التي سيتحول شعبها إلى أمة العظام الضعيفة. حيث جاء في نشره (الجراح العام) تقرير يشير إلى أن نصف البالغين والأطفال تقريباً لا يقومون بالمقدار اليومي الأقل من التمارين الرياضية اللازمة لبقاء عظامهم سليمة: 60 دقيقة نشاط للأطفال، و30 للبالغين. ويمكن كتابة وصفة طبية رياضية مثالية لضمان صحة العظام تتضمن بعض رياضات التحمل كالمشي والهرولة وصعود السلالم، إضافة إلى رياضات المقاومة كرفع الأثقال.

يعد القفز عند الأطفال من الوسائل الممتعة التي تقوم ببناء عظامهم، وهذه نتيجة خلصت إليها دراسة نشرتها جامعة بريتيش كولومبيا الكندية عام 2003، وفيها تمت المقارنة بين طالبات المرحلة الابتدائية اللواتي يقمن بارتياح صفوف الألعاب البهلوانية، مع قريناتهن اللواتي يمارسن رياضة القفز عالية التأثير لمدة 10 دقائق ثلاث مرات أسبوعياً. استغرقت الدراسة سنتين، وفي نهايتها تبين للعلماء أن الفتيات اللواتي يمارسن رياضة القفز حصلن على كتلة عظمية أكبر مما لدى قريناتهن بنسبة 5%.

إعداد: هاجر الموسوي

الأطفال



والكلام البذيء



يصاب أحدها بالصدمة والذهول عندما يسمع طفله يردد الشتائم، وتزداد الصدمة عندما تكون هذه الشتائم موجهة إليه شخصيا، وعندها يبدأ التساؤل: ماذا أفعل كي أوقف هذا التصرف؟

إن الخطوة الأولى في طريق علاج هذه المشكلة تكمن في التعرف على الأسباب التي قد تكون واحدا مما يلي:

1. الطفل يكرر ما سمعه دون وعي (البغاء):

تمر عملية الشتم بثلاثة مراحل (إطلاق الشتيمة بنبرة خاصة ملفتة للانتباه، رد فعل الشخص المشتم، ارتفاع في سوية المشاعر التي تسود المكان). إن الطفل الذي يوجد في بيئة تطلق فيها الشتائم ستلفته نبرتها المميزة، وسيسعى إلى إطلاق الشتائم كي يحصل على الجو الذي ساد المكان عندما سمع الكبار يرددونها، وهو يبحث كذلك عن نفس النتيجة، فالأطفال كالبغاوات ولا يلومون أحد إلا نفسه حين يجد طفله يردد شتيمة سمع والده يتلفظ بها أثناء حديثه مع الآخرين.

2. الطفل يتلفظ بكلمات حول (التخلي):

يؤدي تدريب الطفل على التخلي إلى تعلمه مفردات تتعلق بآلية وأعضاء هذه العملية، وقد يجد الطفل أنه من المسلي أن يكرر هذه المفردات في أماكن غير مناسبة (أثناء الطعام مثلا).

3. الطفل يحاول أن يجذب الانتباه:

إذا استعمل الطفل إحدى الكلمات النابية وشاهد الأثر المفاجئ الفوري الذي أحدثته فسيكتشف القوة التي تسكن هذه الكلمات والتي تعطيه

القدرة على جذب انتباه أي كان عن طريق إطلاقها، لكنه في الوقت ذاته لا يعلم معناها ومتى تستعمل ولأي غرض، وكل ما يعرفه أن هذه الكلمات لها قدرة إحداث الصدمة وهو ما يكفيه.

أما في حالة الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين السادسة والعاشر فإنه من الصعب تقبل شتائمهم وكذلك قبول اعتذارهم عنها، لأنك تشعر بأنهم على علم بمعاني كلماتهم وأنهم يستعملونها ومرادهم معناها وأثرها المؤذي، وهذا الافتراض يكتسب حقيقته من كون الأطفال في هذه الأعمار إنما يستعملون الشتائم لأخذ الثأر أو إثبات السيطرة.

4. الطفل يريد أن يثبت استقلاليتته:

يحاول الطفل دائما أن يثبت أنه مستقل عن والديه، وأنهما لا يملكان السيطرة عليه كليا، وذلك بأن يستعرض عدم قدرتهما على ضبط لسانه.

5. الطفل يريد أن يحوز على رضى أقرانه:

في سبيل كسب تقبل أقرانه يحاول الطفل أن يريهم أنه جزء من المحيط وأنه يستخدم الشتائم كما يستخدمها الآخرون لأنه «مثلهم».

6. الطفل يقلد ما يراه على التلفاز من أفلام ومسلسلات:

يعتبر الأطفال شديدي التأثر بمحيطهم وأشخاصه، والتلفاز يصنع جزءا افتراضيا من هذا المحيط، فلو رأى الطفل أن بطل المسلسل الذي يحبه يستعمل الشتائم، فمن الطبيعي أن يتلفظ بها كجزء من عملية التقليد.

إجراءات ينصح بها لمواجهة مشكلة تلفظ الأطفال بالشتائم :

1. راقب الكلمات التي تتلفظ بها أمام طفلك،
وكن حذرا في انتقاء الألفاظ.

2. ابحث عن الشخص الذي تعلم منه طفلك هذه
الشتائم، ولا تدع طفلك يقترب منه ثانية (وإن
كان من الأقارب).

3. تصرف بحزم وأخبر طفلك بأن هذه الألفاظ
غير مستساغة.

4. لا تضحك عندما يبدأ طفلك بالتلفظ
بالشتائم وامنع الآخرين من أن يفعلوا ذلك
أيضا، لأنه سوف يفسر الضحك على أنه تشجيع
له.

5. عندما يتلفظ الطفل بالشتائم فلا تبد
أي رد فعل في بادئ الأمر وهذا من الصعب،
مما يجعل طفلك يفكر في عدم جدوى هذه
الطريقة الفاشلة. ثم عبر له عن غضبك في ما
بعد بأسلوب هادئ، واجتنب ما يفعله البعض
من إجراءات تزيد الطين بلة كفصل فم الطفل
بالصابون.

6. إذا استمر طفلك بأطلاق الشتائم رغم
تجاهلك له، فاترك الغرفة، وإذا كنتم في مكان
عام فغادراه سوية في الحال.

7. إذا أردت تغيير كلمة بذيئة يستعملها الطفل
للإشارة إلى أمر ما فاقترح عليه بهدوء كلمة
غيرها وأفهمه بأن الأطفال لا يستخدمون هذا
اللفظ، وإذا لم يرتدع الطفل، فاستعمل أسلوب
العقاب الخفيف كأن تمنعه من مشاهدة الرسوم
المتحركة أو تأخذ منه إحدى ألعابه.

8. علم طفلك أساليب مناسبة للتعبير عن
غضبه، فمثلا عندما يبكي الطفل بعد عقوبة
ما، لا تتحاور معه بل اطلب منه أن يذهب إلى
غرفته ويغلق الباب خلفه، وهكذا يتعلم بأن لا
يلجأ إلى أساليب انفعالية كلامية عند الغضب.
وإذا رأيت أن ابنك بدأ بالاستجابة لهذا النهج
وأصبح يعبر عن انفعالاته بطريقة حضارية
فدعه يعلم -بطريقة غير مباشرة وخارج أوقات
الغضب - بأنك قد لاحظت ذلك وأنت تقدر هذه
التصرفات، كأن تقول له مثلا: (لقد كان تصرفك
مع أخيك الصغير يتسم بالنضج والمسؤولية،
فلقد سمعتك عندما عبرت له عن غضبك
بكلمات مناسبة، ثم ذهبت إلى غرفتك لتهدئ
أعصابك).

9. إذا كنت تحس بأن طفلك ناضج بما يكفي
لكي تتحاور معه، فاجلس معه واستفسر منه عن
أحواله، فلهذه يوجد ما يعكس صفو حياته من
مشاكل قد تستطيع حلها وتخليصه من غضبه.





الشارع

في

الشوارع التي لفها الليل بوشاحه القاتم ،
فغرقت في بحر من الظلمات ، كان الصمت يسايره خطوة
بخطوة حتى لقد خيل إليه انه يستطيع ان يستمع الى
وجيب قلبه .

هذا الهاجس جعله يضع راحة كفه اليمنى على جانب
صدره الأيسر فتحسست أصابعه - بالصدفة المحفوظة
التي كانت لا تفارق جيبه ... كانت محفظة صغيرة
بنية اللون تحتوي على مصحف صغير دست بين
صفحاته قصاصات صغيرة كتب عليها الكثير من
الأحراز والأدعية .

المحفظة ومحتوياتها كانت هدية من والدته
أهدته له عندما ودعته خارجا من البيت متوجها
الى مصير مجهول ، وقبل أن يغادر انحنى
على مهد صغير مكلل بالبياض وهمس باذن
رضيع يرقد فيه بكلمات لا يفهمها الصغير ولا
يعيها ، كانت الكلمات عبارة عن وعد يؤكد
قسم ...

- أيها الكلب الجبان لم أعد أخاف الكلاب
أمثالك.

أحدث صوت الحجر المرتطم بالأرض وصوت
صراخه جلبه في جو الصمت المطبق
حواله، ثم عاد كل شيء ساكناً كما كان .

وتذكر ... كيف كان يخشى الكلاب في
طفولته لدرجة الهوس، فما أن يلحظ أحداً
حتى تشل قواه ويفقد القدرة على الحركة
أو التصرف، وجاء دور أخيه، معلمه ومرشده
الأول الذي علمه كيف يهزأ من خوفه
ويتغلب على ضعفه، قال له:

- إن خوفك ينبع من أعماقك وإذا
أردت أن تهزمه فعليك مواجهته وتذكر
دائماً: إن أوهامنا هي التي صورت لنا مخاوفنا
بصورة أكبر من حجمها الحقيقي، تحدي



وبعد عشر سنوات ... تقوده الخطأ هذه الليلة
إلى الحي ذاته والأزقة الضيقة المعتمة
ذاتها والتي يستطيع بالرغم من ظلامها
أن يتلمس خطاه على أرضها الموحلة،
وبالرغم من وحشتها وصمتها يجدها أليفة
قريبة إلى قلبه، ففي هذه الأزقة كبر وقضى
أيام طفولته ببراءتها وشقاوتها وعفويتها،
داخل جدران هذه البيوت المتداعية التي
تحفه يميناً وشمالاً أناس يحبهم، يتحرق
شوقاً لرؤيتهم ويتلظى أسى لفراقهم.

أحس بحركة خفيفة خلفه كان كلباً من
كلاب الليل السائبة اجتازه ومضى راكضاً
أمامه، وبدون أن يشعر تناول حجراً ورماه به
صارخاً:

المغلق أعز مخلوق على فؤاده الجريح .
الحبيبة المفضلة، قد تكون الآن نائمة تحلم
بلقائه، وقد تكون مسهدة كما يورق الشوق
أجضان المحبين فيحرمهم لذيق الرقاد،
ليس أمامه سوى أن يفتح هذا الباب المتأكل
بفضل الزمن والعوز ليلقي بنفسه التي ثوعها
الحنين في أحضان تلك الغالية فينسى ألم
ومرارة السنوات العشر ولواعج الغربة والشوق
ويغفر للزمن كل قسوته وعذاباتة .

لكنه تذكر ما جاء من أجل وبسرعة استعاد
وعيه ورشده وعاد إليه اطمئنان النفس
وثباتها فألقى على دار الأحبة نظرة
أخيرة قد لا يجود الزمن الشحيح بمثلها،
وبقدر ما أتاح له الظلام والدمع المتفرق

خوفك وستري!

غمره أخوه بحب أبوي رزين وعاطفة
تحصنها الحكمة، أثار في نفسه الفتية
كوامن العزم والشجاعة، لكنه رحل عنه
سريعا لأن هناك دعوة تبرز الرجال من
مضاجعهم حاملين أرواحهم على الأكف،
لكن روحه ظلت ترافقه دائما، وحيثما سار
كان يشعر أنه يقتضي خطاه ويسعى في أثره
...

وصل إلى مدخل أحد الأزقة .. تسمر في
مكانه أمام عمود كهرباء منحني في أعلاه
بقايا مصباح محطم، مرة أخرى قفزت
طفولته إلى سطح ذاكرته، طافت بخياله
صورة أخيه مع شباب الحي يغمهم ضوء
المصباح الباهت يذكرون دروسهم ويديرون
حلقات نقاشهم، لكن العمود اليوم يبدو
حزيناً، منكفئاً كأطلال شاخصة في ديار
خربة تبكي أناساً قضوا قريبا رداً من
الزمن ثم غادروها على عجل.

لكي يدخل الزقاق كان عليه ان يجتاز بركة
من المياه الموحلة الأسنة فقد كانت جميع
الدروب التي مربها سابعة في الوحل
غارقة في الظلام المتعمد.

اجتاز البحيرة بمياهها القذرة غير عابئ
بالبلل الذي أصاب قدميه، كان قلبه يشده
إلى بيت من تلك البيوت المحقود عليها،
وعندما وصله تلمس جدران المتداعية
بيد مرتعشة، وبدون وعي أخذ يقبل بابه
المهترئ وعلا صوته باكياً، فاضت روحه
الولهي دموعاً جادت بها عيناه فسقت
عتبة الدار المتهممة، فحلف هذا الباب



هجم ثلاثة من المجاهدين على أحد مراكز
القمع والإرهاب في أحد الأحياء السكنية،
وبينما كان الطرفان يتبادلان إطلاق النار
كان أحد المهاجمين يصرخ وبصوت عالٍ

- كلاب مجرمون « لم نعد نخاف
الكلاب الجبناء أمثالكم».

ارتفعت الشمس ضحى فغمرت بكرمها
وحناها المعهودين حياً منزوياً فقيراً
يضم بين بيوته المتواضعة المنسية بيتاً،
جدرانها متداعية، وبابه مهترئ، وخلف
ذلك الباب قلم أم يعيش حلم اللقاء.

عندما سحب الإرهابيون جثث القتلى... كان
من بينها جثة شاب أصيب بجانب صدره
الأيسر فأحدث الرصاصة ثقباً في
محفظة.. صغيرة بنية اللون.. كان
يحملها في جيبه ...

بين جفتيه من نظر.. وعاد يسير بخطى
ثابتة حثيثة إلى حيث كانت بانتظاره
اثنان من رفاقه، وعندما وصل إليهما ناولاه
سلاحاً وذخيرة وانطلقوا جميعاً إلى هدفهم
المحدد.

مع أنفاس الصبح الأولى وبينما
كان الليل يجر أذياله
الداكنة منحسراً
بصمت وخشوع
أمام الفجر
الواعد،





من لهن؟